المحاضرة الأولى

حالة شبه الجزيرة

الإيبيرية (الأندلس) قبل الفتح الإسلامي

نظرة في جغرافية شبه الجزيرة الأيبيرية

تقع شبه الجزيرة الأيبيرية (الأندلس) في الجنوب الغربي من القارة الأوربية، تفصلها من الشمال عن جنوب فرنسا جبال البرت

حيث تتصل الأندلس بالأرض الكبيرة، ويفصلها من الجنوب حدوداً القارة الأوربية، مضيق جبل طارق الذي يبلغ عرضه من الشرق إلى الغرب ١٣ – ٧٣ كم٢.

ولابد من إيضاح بعض المصطلحات قبل المضي في الحديث عن التاريخ الأندلسي (مصطلح الأندلس ومدلوله) الأندلس مأخوذ من الوندال والتي تعود قبائلهم إلى أصل جرماني، احتلت شبه الجزيرة الأيبيرية من القرن الثالث حتى الخامس الميلادي، وسميت باسمها (فاندلسيا) أي بلاد الوندال، ثم نطقت بالعربية (الأندلس).

أما مدلول هذا المصطلح فقد أطلقه المؤرخون والجغرافيون الأندلسيون على كل شبه الجزيرة الأيبيرية (اسبانيا و البرتغال) .

وتطلق اليوم كلمة اندلثيا بالاسبانية على المنطقة الجنوبية من اسبانيا، وهو اصطلاح إداري لا يمثل المعنى التاريخي المبين لمصطلح الأندلس .

وبعض أسماء الأمكنة والمدن في شبه الجزيرة الأيبيرية ذات اصل أندلسي منقول إلى الاسبانية، أو انه اسباني نقل إلى العربية.

(الثغور الأندلسية) وجدت في الأندلس ثلاثة ثغور أندلسية تقع على حدود اسبانيا النصرانية وهي:

١/ الثغر الأعلى أو (الثغر الأقصى) وعاصمتة سرقسطه. يواجه مملكة بناره .

٢/ الثغر الأوسط وعاصمتة مدينة سالم ثم طليطلة ، يواجه مملكتي قشتاله وليون.

٣/ الثغر الأدنى . ويقع بين نهري دويره وتاجه . كانت عاصمتة أولا: طليطلة ثم حلت غيرها (قورية)

الحالة السياسية والاقتصادية والاجتماعية

خضع الأسبان لسلطان الروم بادئ بدء، وساروا على نهج نظمهم، وأقبلوا عليها إقبالاً شديداً، وانتهى بهم الأمر إلى تعلمها، واصطبغوا من الوجهة الاجتماعية بالصبغة الرومانية .

ثم ضعفت الدولة الرومانية الغربية، واجتاحها قبائل جرمانية في موجات متتابعة حتى استقر بها القوط الغربيون في أواخر القرن الرابع الميلادي.

واتسع ملك القوط الغربية خاصة في عهد ثيودور (٤٢٠ – ٤٥١م) فقد تحالفت مع الرومان وتكاتف معهم في صد هجوم قبائل الهون التي تدفقت على (غاله) سنة م٤٥٠، ونجح ثيودور والرومان في هزيمتهم في موقعة شالون سيرمان سنة ٤٥١م.

وانحسر نفوذ القوط الغربيين عن أراضي غاله واقتصرت أملاكهم على اسبانيا بعد أن هزمهم كلوفيس زعيم الفرنجة في موقعة قويبة سنة ٥٠٧م.

ولم يستمر احتفاظ القوط بإقليم سبتمانيا المتاخم لجبال البرت من الشمال عهداً طويلاً بعد أن طردهم الفرنجة منذ عام ٥٣١م، واقتصرت أملاك القوط على اسبانيا .

وكان قد سبق عصر الفتح الإسلامي بثلاثين عاما عصرا مظلما، ففي اسبانيا كثرت المشاكل من مؤامرات ومصادمات حول العرش، ولم يكن علاج هذه المشكلات متوفراً؛ لضعف الملوك وتجردهم من مظاهر القوة والسلطان، وضعف الروح الحربية عند القوط؛ بعد أن تخلوا عن خشونتهم القديمة التي جعلت منهم رجال حرب، واستغرقوا في حياة الترف، في الوقت الذي نمت فيه السلطات الكنسيه، وأصبح الأساقفة يسيرون الدولة ويستبدون بشؤونها .

وعندما تولى غيطشه عرش البلاد في نوفمبر ٧٠٠م كانت أحوال البلاد قد بلغت غاية السوء، وحاول الإصلاح للبلاد، فطبق العدل في أحكامه وأفرج عن المسجونين وسمح

للمنفيين بالعودة إلى بلادهم، وتعويضهم عن أملاكهم المصادرة، وسمح لليهود بالعودة إلى اسبانيا وممارسة شعائرهم الدينية دون تقييد

وتم خلع غيطشه من العرش على اثر ثورة قام بها (لذريق) ؛ لأن غيطشه ولى ابنه الطفل (وقله) على العرش من بعده، لكن أثار ذلك نقمة من انصار غيطشه وابنائه، وحاول (وقلة) أن يسترد عرشه واتجه ليستنصر من حاكم سبته (يليان). وكان مايزال على ولائه لغيطشه وأولاده ، بينما استبقى لذريق ولدي غيطشه الآخرين (أرطباس والمند) إلى جواره؛ حتى يستوثق من اخلاصهما له

وساءت حال البلاد في عهد لذريق، لانه ارهق الشعب بالضرائب الفادحة لحاجته إلى المال لمواجهة اعدائه، واعتدى على ذخائر الكنائس القوطيه .

ونتيجة لذلك عمت الفوضى والاضطرابات، وأصاب المدن اضمحلال عام نتيجة لاضطراب الأمور في الدولة. وعدم الإحساس بالأمن .

وأخذت بعض مدن الأندلس الكبرى تضمحل وتتحول إلى مدن صغيرة، بل إن بعضها تحول إلى قرى وحصون، وهذا يعود إلى فساد المجتمع الاسباني وقيامة على الطبقات المتحاجزة فيما بينها .

والواقع أن القوط – عندما فتحوا اسبانيا – لم يغيروا كثيرا من نظم المجتمع التي كانت سائدة في العصر الروماني . فقد ظلت طبقة النبلاء القديمة على ما كانت عليه من غنى ونفوذ، وظلت طبقة التجار والزراع وصغار الملاك تعيش تحت رحمة الأغنياء، واستمر العبيد والأرقاء يفلحون الأرض للأغنياء، ويدخلون في مجموع ما يقتنيه هؤلاء من ممتلكات.

وكانت اسبانيا القوطية تنقسم إلى عدة أقاليم ، يحكم كل إقليم منها دوق، وكل إقليم يشتمل على عدد من المدن، يحكم كل مدنية منها قومس ، وكان الملك يستبد بحكمه ويفعل في دولته ما يشاء فيصدر القوانين وينفذها كما يريد .

على الرغم من وجود مجلس للنبلاء، وكان هذا المجلس يقوم باختيار الملك من بين طبقة النبلاء شريطة أن يكون شجاعا، والظافر بالعرش لابد أن يتولاه بحد السيف

وطبقة رجال الدين (رجال الكنيسة) وهؤلاء اصبح لهم شأن عظيم بعد أن تكتلك القوط، وكونا طبقة غنية وكبيرة؛ لأنها اصبحت تملك كثيرا من الاراضي المعفاة من الضرائب، كما كان للكنائس والأديرة أوقافاً تستغلها .

ثم طبقة التجار والزراع وصغار الملاك (طبقة الاحرار) ، فقد سيطر القوط على اراضيهم واستقروا فيها واجبروا على زراعتها – ودفع الضرائب الباهضة .

أما طبقة العبيد فقد كان عددهم كبيرا للغاية، إذ كان الأغنياء والنبلاء يقتنون منهم الآلاف ويسيئون معاملتهم، فيئس هؤلاء العبيد من حالتهم، واخذوا يترقبون الفرصة المواتية للخروج مما هم فيه من الضيق.

وطبقة اليهود وهي طبقة كبيرة من حيث العدد – وكانوا يسيطرون على الحياة الاقتصادية، واتهموهم ملوك القوط بتآمرهم على سلامة الدولة، مما دعا هؤلاء إلى التفكير من التخلص من نير القوط واستعبادهم .

المحاضرة الثانية

مقومات الفتح الإسلامي للأندلس

من أهم مقومات الفتح الإسلامي لبلاد الأندلس انتشار الإسلام في المغرب على يد الفاتحين من القادة المسلمين وجاء ذلك على مراحل عدة من أهمها :

أ/ المرحلة الأولى : ٢٠ – ٢٨ هـ . ولقد شرع المسلمون العرب في فتح المغرب في ولاية عمرو بن العاص الأولى على مصر ، وذلك إتماما لفتح مصر، لأن برقة كانت جزءاً متمما لها ، أو تأمينا لحدود مصر الغربية .. ولذلك بادر عمرو بن العاص بإرسال عقبة بن نافع الفهري على رأس حملة استطلاعية إلى برقة فبادر البربر بتقديم فروض الولاء والطاعة للجيش المسلم .. ثم شرع عمرو في فتح طرابلس تمهيداً لدخول افريقية .. ودخلوا أيضا بلاد سرت ، ثم توقف عمرو عن إكمال الفتح بعد أن أمره الخليفة عمرو بن الخطاب بذلك، وقال ((قف ولا تواصل انها ليست افريقية ولكنها المفرقة غادرة مغدور بها ..))

ب/ المرحلة الثانية : ٢٨ – ٤٨ هـ . وبعد أن انتهت الفتنة ضد عثمان رضي الله عنه واستقر الأمر لمعاوية بن أبي سفيان والي الشام في عهد عثمان استأنف عمرو غزواته السابقة على برقة وطرابلس . وغزاها كذلك معاوية بن حديج الكندي في جيش عدته عشرة آلاف مقاتل .

دخل المسلمون سوسة وجولولاء ثم وجه ابن حديج أسطولة في البحر المتوسط إلى صقلية سنة ٤٦ هـ فأقام بها شهراً وغنم غنائم كثيرة – وفتحوا كذلك بنزرت وجزيرة جربة .

ج/ المرحلة الثالثة : ٤٩ – ٥٥ هـ وكان عقبة بن نافع الفهري يرى ضرورة بناء القيروان لتكون مركزاً ينطلق المسلمون الفاتحون منه إلى بقية افريقية . فبناها سنة ٥٠ هـ وفتح المسلمون بقيادة بسر بن أرطأة وشريك المرادي كل من : ودان وجرمه وفزان ؛ حيث افتتحت قصورها جميعا . ثم أسس عقبة بن نافع مدينة حربية وكان موضعها غابات تكثر فيها السباع والحيات، فدعا عقبة ومن معه الصحابة والتابعين أن ترحل هذه السباع والحيات فرحلت – ثم اقاموا الناس بها وبنوا الدور والمساكن وبنوا الجامع المعروف بجامع القيروان .ملاحظة (المرحلة الثالثة حاسمة)

د/ المرحلة الرابعة : ٦٠ – ٦٤ هـ . وانطلق فيها عقبة للفتح الإسلامي التي وصل فيها إلى المحيط الأطلسي ومعه جموع بربر أوربه عليها كسيله البربري .. ودخل مدينتي باغايه

وقرطاجنه فهزم الروم و البربر، ودخل الزاب وقاتل الروم وحلفاءهم واكتسح شمال افريقية حتى دخل المغرب الأقصى سنة ٦٢ هـ وسالمه (يليان) أمير طنجه وسار حتى وصل البحر ودخل فيه حتى بلغ الماء بطن فرسه ورفع يديه ألى السماء وقال (يارب لولا ان البحر منعني لمضيت في البلاد الى مسلك ذي القرنين مدافعا عن دينك مقاتلا من كفر بك)
ملاحظة (المرحلة الرابعة حاسمة)

هـ / المرحلة الخامسة : ٦٩ – ٧١هـ وسار زهير بن قيس البلوي على رأس جيش من جنود الشام حتى باغت كسيلة البربري في حصنه وقتله وهزمت جيوشه البربر وطاردوهم حتى وادي ملويه وإثناء عودته قطع الروم عليه الطريق ودارت بينه وبينهم معركة في درنه لقي فيها حتفه سنة ٦٩ هـ . ثم تقدم حسان بن النعمان الغساني بأربعين ألفا وحاول أن يتبع سياسة استمالة البربر إلى صفوفه ثم دخل قرطاجنة وصطفورة وبنزرت لكنه هزم أمام الكاهنة البربرية داهيا بنت ماتيا في معركة (نهر البلاء) وعاد المسلمون الى برقة .

و/ المرحلة السادسة : ٨١ – ٨٥ هـ . وقاتل حسان بن النعمان الكاهنة وانتصر عليها.

ز/ المرحلة السابعة : ٨٦ – ٩٠هـ . وتولى فيها موسى بن النصير على افريقية بأمر من عبد العزيز بن مروان .

وكان الفتح الإسلامي بعد ذلك للأندلسي أمرا طبيعيا حسب الخطة التي اتبعها المسلمون أثناء فتوحاتهم وهي تأمين حدودهم ونشر دعوتهم وذلك بالمضي في جهادهم إلى ما وراء تلك الحدود، لنشر العقيدة الإسلامية التي تقضي ان يستمر المد الإسلامي مادامت فيه القوة على الاستمرار .

أهمية المغاربة وانضمامهم إلى جيوش المسلمين خاصة بعد أن تمكنوا من فهم الإسلام وغاياته حيث تحمسوا لنشر الإسلام في خارج بلادهم ولذلك نلاحظ أن أكثرية جيش طارق بن زياد من المسلمين البربر ، الذين تحمسوا لهذه العقيدة حبا لها وتضحية لأجلها لا طمعا في مغنم او حرصا على جاه وهذا هو هدف جميع الفتوحات الاسلامية التي يكفي الاطلاع عليها ومعرفة طبيعتها لرفض الادعاءات وإسقاط المفتريات المزورة

التي تشير تلميحا وتصريحا – الى اعتبار الغنائم سببا في هذا الفتح .

إن الأندلس كانت تمر فترة الفتح الإسلامي بأسوأ حالاتها من جميع النواحي السياسة والاجتماعية والدينية، فالطبقة الحاكمة (القوط) مستبدة وتتمتع بكل المميزات، ويسود نظام الطبقات، حيث يقف الأمراء في أعلى الهرم، يليهم النبلاء ثم رجال الدين وهؤلاء يتمتعون بكل شيء، أما سواد الشعب فهم محرومون إلا ما يسد رمقهم ويبقيهم أحياء لخدمة النبلاء ، أما اليهود فكانوا في قاع المجتمع، وكانت العلاقات بينهم وبين مكان البلاد على أسوء ما يكون وكانوا موضوع الاضطهاد. وكانت نفوس الجميع مشرأبة للدخول في مظلة حكم جديد يخلصهم من هذا الظلم والاستبداد والسيطرة القهرية.

انتشار الفوضى والاضطراب في الأسرة الحاكمة في الأندلس، فقد كانت هناك منافسة دموية بين المرشحين للعرش، وثورات محلية كبيرة ودسائس يقوم بها النبلاء وكبار القساوسة الذين كانوا يسعون إلى زيادة التغلغل في الشئون السياسة للدولة أكثر مما كانوا يفعلونه من قبل. وهذا يشير بوضوح إلى أن البلاد الأيبيرية كانت تقدم نفسها فريسة سهلة لأي غاز سواء كان ذلك الغازي من الشمال أو الجنوب.

الصراع المحتدم بين أبناء غيطشه وبين الحاكم لذريق، مما دفع إلى تخطيط سري محكم بين أبناء غيطشه المظلومين وبين يليان حاكم سبته لفتح بلاد الأندلس، ويذكر المؤرخ الاسباني إدوارد أن (يليان) كان يمت بصلة القرابة والنسب إلى أسرة غيطشة .. ويبدو أن أقرباء غيطشة اتصلوا سراً بيليان، والتمسوا منه أن يتصل بالمسلمين العرب لفتح الأندلس .. وزعموا أن حادثاً عجل بالفتح وهو أنه كانت ليليان ابنة ذات جمال كان قد بعث بها والدها إلى بلاد الملك (بطليطلة) للتأدب بآداب الملوك ، وقيل أن لذريق استكرهها على نفسها – فأبلغت الفتاة أباها سراً فغضب يليان .. وعزم على الانتقام منهم بتحريض المسلمين العرب على دخول بلادهم (الأندلس) – ولكننا لا نرجح صحتها وأغلب الظن أنها مختلقة من ابتكار القصاص والإخباريين، بدليل أن يليان لم يكن على علاقة طيبة بلذريق حتى يبعث إليه بابنته .. **والذي لا شك فيه أن يليان هو الذي سعى عند طارق لفتح الأندلس، وأنه ذلل للمسلمين كل الصعوبات وضمن للمسلمين انضمام أنصار آل غيطشة إليهم .. ودبروا الغدر بلذريق ..**

المحاضرة الثالثة

مراحل الفتح الإسلامي لبلاد الأندلس

حملة طارق بن زياد ونتائجها (الحملات الاستطلاعية)

١ طريف بن مالك (ابى زرعة). أرسلها موسى بن نصير في رمضان سنة ٩١هـ / حملة مكونة من (٥٠٠) جندى، وسارت بسفن يليان، ونزلت في جزيرة سميت باسمه فيما بعد (جزيرة طريف). وعادت هذه الحملة بالأخبار المطمئنة والمشجعة على الاستمرار في عملية الفتح .

٢/ حملة طارق بن زياد، وأرسلها موسى بن نصير في شهر رجب من ٩٢هـ على رأس جيش من سبعة آلاف جندي من المسلمين البربر، ومعهم عرب وتجمع المسلمون عند جبل طارق الذي عرف باسمه (مضيق جبل طارق) وهذه مكافأة دنيوية طيبة على عمل طارق وتخليد لبطولته .. ويعتبر ابن حزم في رسالته القيمة في فضل الأندلس التي حفظها لنا المقرى كاملة : فاتحي الاندلس هم ثانية الجماعتين اللتين اخبر عنهما رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث الشريف الذي رواه لنا أنس بن مالك رضي الله عنه في فضل الجهاد في البحر :- حيث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم – ناس من أمتي عرضوا علي غزاة في سبيل الله يركبون ثبج هذا البحر ملوكا على الأسرة أو مثل الملوك على الاسرة .

وبعد أن استكملت الجيوش استعداداتها على جبل طارق – اتجهوا جميعا إلى سبته، ثم وصلوا إلى الجزيرة الخضراء ودارت بينهم وبين القوط معركة انتصر المسلمون فيها بعد ثلاثة أيام ...

وكان لذريق (حاكم الاندلس) منشغلا بقمع الثورات في الشمال، فعلم بهزيمة أصحابة وبدأ يتجهز للقاء المسلمين، فاستنجد طارق بن زياد بموسى بن نصير فأرسل إليه (٥٠٠٠) محارب بقيادة طريف بن مالك، فأصبح العدد (١٢٠٠٠) مقاتل

جمع لذريق جيشا قرابة (١٠٠٠٠٠) وقيل (٤٠٠٠٠) على حد كلام ابن خلدون، ومعهم الاستعدادات الكاملة لحمل الاسرى المسلمين ثقة منهم بالنصر (مقدما)؛ لأنه يفوق عدد

المسلمين مرات وربما في التنظيم وربما في والتدريب، ويحارب في بلده . وقريب من مصدر الإمداد .

ولكنه لم يكن يعلم أن الجيش الإسلامي كان متفوقا عليه بالروح المعنوية. وبقوة العقيدة قبل كل شيء مستعدا للاستشهاد في سبيل الله .

ودارت الحرب بين الطرفين لمدة ثمانية أيام من ٢٨ رمضان حتى ٥ شوال سنة ٩٢هـ وهزم الله المشركين ، وشتت الجيش القوطي وقتل لذريق أو غرق، ثم تعقب طارق فلول الجيش القوطي التي لاذت بالفرار ، وتسمى معركة وادي برباط وهي قرب مدينة شذونة واختلفت الروايات العربية في شأن مصير لذريق، فذكر فريق من المؤرخين بأنه قتل غريقا في وادي لكة، بينما أكد أكثرهم بأنه رمى نفسه في وادي لكة، وغاب شخصه فلم يعثر عليه .. لكن الحقيقة انه استطاع النجاة بنفسه بعد أن تجرد من ثيابه الدالة عليه.

ومر طارق بن زياد بمدينة شذونة وفتحها بعد حصار ، ومضى إلى مورو وافتتحها ثم فتح قرمونة واشبيلية صلحا ، ثم نازل أهل استجه وقاتلهم بشده وانتصر عليهم .

ثم وجه طارق سرايا، فبعث جيشا بقيادة مغيث الرومي لفتح قرطبة في (٧٠٠) فارس وفتحها دون مشقة .

وأما عن قصة مغيث لفتح قرطبة، يقال أنه (مغيث) كمنة بقرية شقندة في غيضة أرز، فبعث بعض أدلائه من الأسبان ليسألوا الناس عن سور المدينة، فوجدوا راعي غنم فجاءوا به إلى (مغيث) فسأله عن قرطبة فقال له : انتقل عنها عظماء أهلها .. ولم يبق فيها إلا بطريق في ٤٠٠ فارس مع ضعفاء أهلها وأخبره عن قوة سورها وعن وجود ثغرة يمكنه الدخول منها .. وبناءاً على ذلك آثر مغيث أن يدخلها ليلاً عنوة وتم له ذلك وانقضوا على حراس المدينة فقتلوهم وكسروا الباب

وأرسل جيشاً آخر إلى (مالقه) وغرناطة، وتدمير .. وحدثت معارك عدة في تلك المناطق انتصر فيها المسلمين .

ثم سار طارق إلى عاصمة القوط (طليطلة) فدخلها سنة ٩٣هـ دون مقاومة تذكر، فوجد طارق المدينة خالية ليس فيها سوى اليهود في قوم قله وفر أميرها مع أصحابة، فترك طارق فرقة من جنوده في طليطلة ، ومضى يطارد الفارين من أهلها.

اتجه طارق إلى وادي الحجارة، ودخل مدينة المائدة؛ لأنه وجد فيها المائدة المعروفة عند مؤرخي العرب بمائدة سليمان – وهي ليست مائدة .. وإنما مذبحاً لكنيسة طليطلة العظمى عند فرارهم من طليطلة خشية أن تقع في أيدي المسلمين لنفاستها وقداستها – ثم عاد إلى طليطلة .

أما عن خطبة طارق بن زياد . فيقال انه حين اقترب لذريق بجيشه القوطي الكثيف قام في أصحابه / فحمد الله سبحانه وتعالى واثنى عليه بما هو اهله ثم حث المسلمين على الجهاد ورغبهم في الشهادة .. ثم قال : أيها الناس . أين المفر؟ البحر من ورائكم والعدو أمامكم، وليس لكم والله إلا الصدق والصبر ..) والمؤرخون يستبعدون هذه الخطبة لأسباب :

أ/ لم تكن هذه الخطبة وما فيها من السجع من أسلوب ذلك العصر (القرن الاول الهجري) وغير متوقع لقائد جيش أن يعتني بهذا النوع من الصياغة وخاصة في هذا الظرف الصعب .

ب/ إن المعاني التي تناولتها الخطبة لا تتلاءم والروح الإسلامية العالية التي توفرت لدى الفاتحين ، ومقدار حبهم للإسلام وإعلاء كلمته ورغبتهم في الاستشهاد من اجل ذلك – فهي لا تشيد بدوافع الفتح وأهدافه. يقول الحق تبارك وتعالى ((وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله . فإن انتهوا فإن الله بما يعملون بصير) (الانفال:٣٩)

جـ/ كان المتوقع أن تحتوي الخطبة على آيات من القرآن الكريم وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم . أو وصايا وأحداث ومعاني إسلامية أخرى تناسب المقام .

د/ ثم إن طارقاً وأكثر الجيش كانوا من البربر ، مما يجعل من المناسب أن يخاطبهم بلغتهم ، إذ من المتوقع ألا تكون لغتهم العربية قد وصلت إلى مستوى عال .

أما قضية حرق السفن التي عبر بها المضيق ؛ كي يقطع على الجيش الإسلامي كل أمل في العودة، فيستميت في الدعاء فهو أمر لم تثبت صحته؛ فإن كانت السفن ليليان فليس من حق طارق التصرف بها ، وان كانت للمسلمين فليس حرقها عملا عسكريا سليما أو مناسبا ما دام يحتاج إليها والى النجدة والاتصال الدائم بالمغرب لأي عرض

ثم إن دوافع المعاني الإسلامية والهدف الذي جاء الجيش من اجله لأقوى في الاندفاع من أي سبب آخر، وما كان المسلمون يتخلفون عن خوض معركة أو تقديم أنفسهم لإعلاء

كلمة الله، بل لذلك أتوا – والمصادر الاندلسية لا سيما الأولى – لا تشير إلى قصة حرق السفن التي لا تخلو من علاقة وارتباط بقصة الخطبة.

ومن نتائج حملة طارق بن زياد (هام مناقشة ٣)

- **دخول عدد كبير من البربر والأسبان في الإسلام بعد هذه الانتصارات المتعددة ، وعقد معاهدات كثيرة مع معظم سكان تلك البلاد المفتوحة**

- **التحاق اعداد كثيرة من سكان البلاد الاندلسية بالجيش الاسلامى بعد دخولهم في الاسلام، فأصبحوا قوة تعين المسلمين العرب في جميع حروبهم وقد اصبح بعضهم من خيرة المقاتلين .**

- **حصل المسلمون على غنائم عظيمة – خاصة بعد فتح طليطلة – فقد حصل فيها على الذهب والفضة والتحف والآثار النفيسة .**

- **نشر الإسلام في الأندلس وما جاورها من البلاد؛ حيث أقيمت المساجد الكثيرة ، وارتفع التكبير فيها.**

- - **نشر العلوم الإسلامية في أرجاء تلك البلاد ، واصبحت المساجد مدارس يعلم فيها القران والتفسير والحديث والفقه .. وتخرج منها علماء مسلمون من العرب وغيرهم ألفوا وبرعوا في تخصصات عديدة .**

- - **نشر اللغة العربية بين أوساط السكان في الأندلس، باعتبارها لغة القرآن الكريم .. لغة الإسلام . فغدت من اللغات المهمة بالنسبة لسكان تلك البلاد بجانب اللغات الأخرى**

- **ارتفاع شأن الإسلام والمسلمين في نفوس السكان حتى من غير المسلمين؛ حيث علموا أنه دين الحق والعزة والمنعة؛ بسبب الانتصارات المتكررة لأهله .**

المحاضرة الرابعة

حملة موسى بن نصير وأهم إنجازاته فى الأندلس

مقدمات الحملة

- حين وجه (موسى بن نصير) طارقاً لفتح الأندلس كان يراقب الأحداث منذ بدايتها، ويهيء المتطلبات لانجاز هذا الفتح الكبير ، ويدعو الله تعالى ويتضرع بأن ينزل النصر على المسلمين.

- **وحين استنجد طارق من موسى بن نصير. أصدر الأخير أمره بالتوقف فخرج من أفريقية إلى الأندلس في رجب سنة ٩٣هـ، وعبر المضيق في جيش قوامه ١٨٠٠٠ ومعه ابناه (عبدالعزيز وعبدالاعلى) وانتظر في الجزيرة الخضراء حتى عبر بقية الجيش واستكمل الترتيبات ودخل مع موسى من قريش والعرب نيفاً وعشرين راية.**

- **وكانت أول فتوحاته (شذونه) ثم توجه إلى قلعة رعواق فافتتحها ، ثم سار الى قرمونة، وكان تحصينها شديدا .. فدخلها بحيلة حيث طرقهم بخيله ليلاً ، ففتحوا لهم الباب ، وقتلوا الحراس وفتحوها. كما حاصر اشبيلية (وهي أعظم مدائن الاندلس) فامتنعت اشهراً على موسى ، ثم فتحها الله عليه.**

- وتوجه بعدها إلى مدينة (ماردة) وافتتح في طريقه إليها لبله وباجة، وكانت ماردة قبل الفتح الاسلامي احدى قواعد الاندلس ومدائنه بناها الرومان سنة ٢٥ قبل الميلاد ، وكانت مدينة ينزلها الملوك الأوائل ، فكثرت بها آثارهم والمياه المستجلبة إليها.

ولقد حاصر المسلمون (ماردة) فخرجت قواتها تحارب وآذوا المسلمين – فسار المسلمون على طريقه الكمائن وقاتلوهم حتى عادوا للتحصن في مدينتهم ، ثم أحدثوا صخرة في السور .. وعادوا لحصار المدينة حتى رمضان سنة ٩٤هـ .. وتفاوضوا على المصالحه و تبودلت في ذلك الوفود ، وكان الصلح على أن تدفع أموال قتلى ماردة يوم الكمين ، وأموال الفارين منها دية لشهداء السور، أما أموال الكنيسة فتبقى لها .. ثم فتحوا له المدينة يوم الفطر سنة ٩٤هـ .

- وجه موسى جيشاً من ماردة – بقيادة ابنه – عبدالعزيز إلى اشبيلية ؛ لأن فلول القوط من (لبله وباجة) قد اجتمعت فيها وقتلوا العديد من المسلمين؛ منتهزين فرصة انشغال موسى بحصار (ماردة) فأعاد (عبدالعزيز) فتحها.

- كما فتح (عبدالعزيز بن موسى) كورة تدمير، والبيرة، ومالقة . وكان فتح تدمير (صلحا)على إتاوة يؤديها ، وأعطي الامان لأهلها ولحاكمها ، والتزم به المسلمون ؛ لان ذلك عقيدتهم (واوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولا) (الاسراء:٣٤)

- وبعد سقوط (ماردة) تحصن لذريق وجنوده في شعاب جبال سيرادي. ينتظرون الفرصة لمباغتة الجيش الإسلامي، فاستدعى موسى طارقاً للحضور العاجل مع جيشه، فخرج طارق بجيوشه ملبياً النداء وسار حوالي ١٥٠كم، حتى لقيه وادي المعرض -- وقيل أن موسى وبخ طارقاً على مخالفته لرأيه وخروجه عليه، وهو ما أجمع عليه المؤرخون العرب ، والأرجح أنه : عاتبه برفق على تسرعه في اقتحام الاندلس من الوسط، فاعتذر اليه طارق وخضع له، وقال : إنما أنا مولاك وقائد من قوادك .. ما فتحته وأصبته فإنما هو منسوب إليك واستلطفه حتى رضي عنه.

- وفي شهر ذي القعدة سنة ٩٤هـ خرج لذريق من المخبأ الذي يتحصن فيه وفاجأ الجيش الإسلامي عند (السواقى) ودارت بين الطرفين معركة بهذا الاسم. انقض فيها المسلمون على لذريق وجيشه ، وقتل هو بيد (مروان بن موسى بن نصير) وحمل اتباع لذريق جثته ودفن في فيزو.

- - وفي ذي الحجة سنة ٩٤هـ وصل موسى وطارق (طليطلة) ليرتبا أحوالها وينظموا شؤونها ويخططون لفتح شمال شبه الجزيرة الايبيرية .. وكتبوا للخليفة الوليد بن عبدالملك بأخبار الفتح ، وضربت العملة الإسلامية لأول مرة في الأندلس، كما قاموا بتعليم الناس الإسلام وشرحه بعد أن رآه أهل البلاد عملياً في خلق الفاتحين

الرد على من قال بحسد موسى لطارق (هام مناقشة ٥)

- يقال أن سبب عبور موسى الأندلس . حسده لطارق لما أعطاه الله من الفتح الإسلامي وسبقه له بهذا الشرف؟ وليس لهذا الكلام واقع تاريخي ولا تسمح بقبوله مجريات الإحداث؛ لان موسى لم يكن أصلاً محروما من شرف الفتح وخدمة الإسلام

.. ثم إن طارقاً – لم يخالف لموسى أمراً – ليس إلا احد الضباط تحت امرة موسى وهو الذي عينه . وكان بإمكانه أن يعزله لو أراد ودون الرجوع إلى الخليفة .. ثم إن عبور موسى كان بناءاً على استغاثة طارق له لمشاركته له في الجهاد والفتح .. ولو كان حاسداً لعبر البحر في ثلة قليلة وفي اقصر وقت ولم يتأخر سنة كاملة ..

- ثم إن موسى لم يذهب مباشرة لمواجهة طارق بل سلك سبيلا آخر غير الذي سلكه طارق ، ولو أراد مخاصمته لسار إليه مباشرة.

ولم يتخذ موسى أي إجراء آخر بعد العبور إلى الأندلس ضد طارق؛ بل واصل الفتح وبذل الجهد لحماية الجيش الإسلامي – وافتتاح مناطق جديدة لم يفتحها طارق – والذي حدث لا يعدو أن يكون مناقشة بعض القضايا وإبداء الملاحظات تخوفاً من الاذى وعلى توغله بالمسلمين . وتغريره بهم؛ حيث سار بسرعة إلى قلب البلاد – فعاتبه موسى .. واعتذر إليه طارق بخطته العسكرية أمام الظروف المحيطة به ، والضرورة الداعية لأسلوبه ، والدليل على ذلك أنهما اتجها سويا، لإكمال الفتح وينشرون دين الله تعالى ويعلون كلمته ويبلغون للناس شريعته.

- وفي جمادى الثاني سنة ٩٥هـ - سار الجيش يتقدمه موسى وطارق نحو الشمال الشرقي لشبه الجزيرة الايبيرية – عند الثغر الاعلى – وافتتح الجيش – سرقسطه (المدينة البيضاء) دون قتال شديد ، وانشأوا فيها مسجداً خططه مهندس المساجد في الغرب الاسلامي التابعي الجليل : حنش بن عبدالله الصنعاني ، كما اشرف على بناء عدد من المساجد في افريقية، وشارك في تأسيس مسجد قرطبة.

- كما فتح موسى وطارق مناطق عديدة عبر (البرت) في الارض الكبيرة ومنها قرقشقونة ، أربونة ، إبنيون ، لودون.

- واتخذ الجيش الإسلامي بعد ذلك اتجاهين؛ لفتح الشمال الاسباني

١/ احدهما قادة طارق بن زياد . حيث سار من سرقسطة يساراً نحو الغرب والشمال الغربي – تجاه بلاد البشكنس .

٢/ الثاني: قادة موسى بن نصير . تجاه اليمين – في الشمال الشرقي والشرق وفتح حصن بارو – في منطقة بلد الوليد ، كما افتتح مناطق كثيرة من جليقية .

ثم اجتمع طارق وموسى وتقدما بالسرايا حتى وصلوا مرتفعات اشتوريش في قمم جبال قنتبريه، فبلغوا قمة وعرة سماها المؤرخون المسلمون (صخرة بلاي) قرب الساحل الشمالي لاسبانيا عند خليج بسكاي .

أهم الانجازات في الأندلس (هام مناقشة ٤)

في العلوم المتعددة الحقول قدمت التآليف الكثيرة والإنتاج الضخم كما أنشأت المدارس ومعاهد العلم الأخرى في كل ناحية وتوفرت الاختراعات .

وفي الصناعات ازدهرت أنواع كثيرة فبرزت الأندلس بدور صناعة السفن ثم الأنسجة وصناعة الورق والفخار المذهب العجيب .

كذلك برزت بالزراعة ووسائل الري والعناية بها .

ثم الجانب العمراني المتمثل في المباني المختلفة كالمساجد والقصور والدور والقناطر وقصر الحمراء الذي ما زال باقيا حتى الآن وكذلك المباني الحربية المتعددة .

وشمل الجانب الفكري في الإنتاج كافة الميادين فعرف أسماء كثيرة من الأعلام أمثال ابن بيطار (٦٣٦هـ) وابن الرومية (٦٣٧هـ) وابن الجياب (٧٤٩هـ) وابن خاتمة (٧٧٠هـ) وابن الخطيب (٧٧٦هـ) كما كان عددا من ملوك بني الاحمر هم من العلماء والادباء.

المحاضرة الخامسة

عصر الولاة وفتوحات المسلمين
في فرنسا ٩٥ – ١٣٨هـ

أهم الانجازات في الأندلس

في العلوم المتعددة الحقول قدمت التآليف الكثيرة والإنتاج الضخم كما أنشأت المدارس ومعاهد العلم الأخرى في كل ناحية وتوفرت الاختراعات .

وفي الصناعات ازدهرت أنواع كثيرة فبرزت الأندلس بدور صناعة السفن ثم الأنسجة وصناعة الورق والفخار المذهب العجيب .

كذلك برزت بالزراعة ووسائل الري والعناية بها .

ثم الجانب العمراني المتمثل في المباني المختلفة كالمساجد والقصور والدور والقناطر وقصر الحمراء الذي ما زال باقيا حتى الآن وكذلك المباني الحربية المتعددة .

وشمل الجانب الفكري في الإنتاج كافة الميادين فعرف أسماء كثيرة من الأعلام أمثال ابن بيطار (٦٣٦هـ) وابن الرومية (٦٣٧هـ) وابن الجياب (٧٤٩هـ) وابن خاتمة (٧٧٠هـ) وابن الخطيب (٧٧٦هـ) كما كان عددا من ملوك بني الاحمر هم من العلماء والادباء.

نظرة في عصر الولاة ٩٥ ـ١٣٨ هـ

تم بعودة القائدين – موسى وطارق – بدأ عهد الولاة في الأندلس عهد الولاة ٩٥ – ١٣٨هـ الذي استمر حتى وصول عبدالرحمن الداخل – ابن معاوية بن هشام – واستغرق عهد الولاة حوالي ٤٢سنة ، تولى حكم الأندلس خلالها بعد موسى وطارق – عشرون واليا . حكم اثنان منهم مرتين ، هما عبدالرحمن الغافقي وعبدالملك بن قطن.

يمثل عهد الولاة في الأندلس التحول والانتقال إلى حياة جديدة خيرة فيها التنور والامتداد في الغروس الثابتة النيرة وهو هدف أصيل – ينتج ازدهار الشجرة الطيبة التي تؤتي اكلها يانعة.

وحين كانت الأندلس تتبع الشمال الأفريقي ، يقوم الوالي الأفريقي بتعيين ولاة الأندلس مثل : الحر بن عبدالرحمن الثقفي (ذو الحجة٩٧هـ - ١٠٠هـ) عنبسه بن سحيم الكلبي (صفر ١٠٣هـ - شعبان ١٠٧هـ)

اتبعت الأندلس منذ أيام واليها الحر بن عبدالرحمن ، ثم عادت تابعة للخلافة أيام الخليفة عمر بن عبدالعزيز (صفر٩٩ – رجب١٠١هـ) للإسراع في الانجاز والإشراف عليه ، فعين عليه (الاندلس)السمح بن مالك واليا عليها (رمضان ١٠٠هـ - ذو الحجة ١٠٢هـ) لكنها عادت تابعة لافريقية في ولاية عنبسه حتى استشهد في جنوب فرنسا (شعبان ١٠٧هـ) وفي ولايتي عقبة بن الحجاج السلولي (شوال ١١٦-١٢١هـ) وابي الخطار(رجب١٢٥-١٢٨هـ) كانت الأندلس تابعة لولاية الشمال الافريقي ...

وهكذا ترددت تبعية الأندلس بين الإشراف المباشر للخلافة عليها . وبواسطة الشمال الإفريقي – حسب حاجة الأندلس والأحوال في داخلها أو خارجها.

كانت الأندلس – أكثر مدة الولاة – تابعة لولاية افريقية. واتخذت اشبيلية في بداية هذا العهد قاعدة ، ثم انتقلت إلى قرطبة.

واجهت عصر الولاة – تلو الفتح – مهمات ضخمة ، وبجانب اتمام الفتح وإقراره مواكبة التبدل الذي طرأ على الاندلس بانتشار الاسلام فيه فعلى الولاة وبقية المسؤولين وعموم المسلمين خدمة هذا الهدف الأصيل في داخل الاندلس اولاً. وتهيئة متطلباته بين الناس وفي الحياة من تعمير وتنظيم.

اضطلع ولاة الأندلس بواجب آخر : هو الاستمرار على رعاية المد الاسلامي والسير به عبر جبال البرت مجاهدين .. استشهد العديد منهم هناك لإعلاء كلمة الله تعالى .. لهذا السبب ما كان يطول حكم الوالي الأندلسي .. فأورث ذلك بعض الارتباك – وحدثت نزاعات بين القبائل حين كانت سلطة قبلية لزعامة ذي عروق جاهلية . أثارت هذه النزعة (وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين) (الانفال:٢٦)

ولم يتوقف الجهاد في الجزيرة الأندلسية لإتمام ما كان على موسى إتمامه ، وبذل لذلك الولاة – لاسيما عبدالعزيز – جهوداً واضحة ، ثم ساروا بالمد إلى ماوراء البرت.

كان العهد للولاة بداية لنشأة العلوم الجديدة المتنوعة التي أنتجت ثمارها على مراحل.
فوجد في هذا العهد إنتاج وأعلام في أكثر من ميدان.

مميزات عهد الولاة

ويتميز هذا العهد : أولاً / بالاستقرار وتنظيم البلاد وإصلاحها وذلك بإشراف الشمال الإفريقي.

هاجر أعداد كبيرة من المسلمين إلى الأندلس بعد فتحها ، وأكثرهم من مسلمي البربر واستقروا في كل ناحية ، وخاصة في بعض النواحي الجبلية ، وهذا يتناسب مع ما اعتادوا عليه في الشمال الإفريقي وهذا يأتي بالخيار وليس بالإجبار أو تمييز مكان على آخر. في حين سكن آخرون من المسلمين العرب السهول ومعهم البربر .

اهتم ولاة الأندلس بتنظيم البلاد وإدارتها وحسن السياسة للرعية والقيام بالإصلاحات اللازمة – وأمر عمر بن عبدالعزيز السمح بن مالك بأن يحمل الناس على طريق الحق.

وكان هناك تنظيم إداري خاص بالمسلمين وآخر لغيرهم ، وكلما تقدم الزمن كان الناس يدخلون في الإسلام ، وبذلك يصبح غالبية السكان في الأندلس يحتكمون إلى الشريعة الإسلامية ، ويحتكم غير المسلمين إلى قضائهم.

وفي حقل الزراعة – ذهب كلمة الرقيق في الارض – وأصبح هؤلاء الزراع أحراراً لهم حقوقهم وواجباتهم .

عاش غير المسلمين أحراراً في عقائدهم ، وبقيت الكنيسة تملك بعض الأراضي ، واختلط كثير من النصارى واليهود بالمسلمين وتقبلوا لغتهم وعاداتهم.

أما التنظيم الإداري فقد تمتعت الأندلس باستقرار طيب وكانت تميل نحو الأقسام الإدارية الصغيرة تيسيرا لضبط الأمن وربط المال ، فاعتمدوا على الكورة – يتبع كل كورة عدة مدن – ويتبع المدينة عدة اقاليم (قرى كبرى) ثم (أجزاء مزارع أو أرياف)

وقامت بعض الأعمال العمرانية ، منها إنشاء المساجد في المناطق المختلفة ، وكذلك المدارس في المساجد.

انتشار الإسلام واعتناق الأسبان له

لم يكن فتح المسلمين لشبه الجزيرة الأندلسية حدثا عسكريا وسياسيا فحسب ، بل الأهم من ذلك انه كان فتحا إنسانيا ، وبداية لحدث حضاري فريد لاسبانيا وأوربا على سواء.

قضى الإسلام في اسبانيا على الأوضاع السيئة فيما قبل الفتح – فلم تعد هناك طبقة متحكمة كالأسرة الحاكمة والنبلاء ، وزال سلطان الكنيسة ونفوذ رجالها ، وانتهت عبودية الارض أو العبيد ؛ حيث تحرر كل من دخل منهم الاسلام.

أصبح هم الفاتحين العمل على نشر الإسلام وشرحه للسكان وتوجيه الدعاة إليهم ، وغدت القيم والتعاليم الإسلامية مثلا متحركة تشاهد عياناً يشاركهم في ذلك المتطوعون والتجار بين المسلمين والرحالة.

كل داخل في الإسلام هو داعية له – وهو نابع من طبيعة الاسلام قال تعالى (وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ، ويكون الرسول عليكم شهيدا) (البقرة : ١٤٣)

وقال تعالى (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) (آل عمران: ١١٠) وقال الرسول صلى الله عليه وسلم (خيركم من تعلم القرآن وعلمه) ويقول صلى الله عليه وسلم (بلغوا عني ولو آية).

يذكر المقري في نفح الطيب عن الحديث عن والي الأندلس (عقبة بن الحجاج السلولي شوال ١١٦-١٢١هـ) أنه كان إذا اسر الاسير لم يقتله حتى يعرض عليه الإسلام ويبين له عيوب دينه ، فأسلم علي يده ألفا رجل.

وكان من نتائج حسن المعاملة الإسلامية (مناقشة ٦) ازدياد الصلات والاختلاط مع غير المسلمين من الأسبان ، بشكل قاد إلى بعض المصاهرات معهم ، وقد تم زواج أول ولاة الأندلس – بعد الفتح – عبدالعزيز بن موسى بن نصير (ذو الحجة٩٥هـ - رجب٩٧هـ) من أسله – أرملة لذريق آخر ملوك القوط، وتكنيها مصادرنا الاندلسية (أم عاصم)

ودخل سكان الجزيرة الأندلسية في دين الله أفواجا ، عاشوا مع المسلمين العرب (إنما المؤمنون أخوة) (الحجرات : ١٠) – وممن دخل الاسلام انذاك : (أبو محمد عبدالله بن فروخ الفارسي) (مهدي بن مسلم) وهو من قدماء قضاة قرطبة ، ومن أبناء المسالمة وهم في التاريخ الاندلسي الذين دخلوا الاسلام من الاسبان ، كما اطلق على اولادهم (المولدون) (علي بن حسن) المعروف بابن شبرقة.

أما عن فتوحات المسلمين فى فرنسا (خلف البرت) فقد بلغت قوة المد الاسلامى – خلال عهد الولاة – مبلغا عاليا ، وقدم عدة من الولاة تضحيات كبيرة – ومنهم (السمح بن مالك الخولانى) فقد بذل نشاطا واسعا فى جنوبى فرنسا، وانفق جهودا كبيرة فى :

غالة ، وطولوشة ، حتى تكاثرت عليه جنود الفرنجة وأحاطت به وبالمسلمين فلم ينج احداً منهم وقتل يوم التروية سنة ١٠٢هـ

كما فتح المسلمون ولاية (سبتمانية) جنوبي شرقي فرنسا وغدت بعد ذلك منطقة اسلامية ضمن هذه الحكومة ، التي اتخذت عاصمتها (أربونة) قاعدة الجهاد وراء البرت .

المحاضرة السادسة

موقعة بلاط الشهداء ونتائجها

أسباب الموقعة واستعدادات ذات الطرفين (مناقشة ٧)

عين (عبيد الله ابن الحبحاب) والي افريقية – عبدالرحمن بن عبدالله الغافقي على الاندلس – فدخلها سنة ١١٣ هـ، وكان معروفا بحسن قيادته وقوة شكيمته ، وقد أبلى بلاءً حسناً في (موقعة طولوشة) التي قتل فيها (السمح الخولاني) لذلك أراد أن ينتقم من الفرنجة، وكان معروفا بنزاهته وحياده لا يتحيز لفريق على آخر ، ولا يتعصب لعنصر على عنصر آخر – فلا يميز بين مسيحي ولا مسلم – وعزل كثيرا من القواد والولاة الذين ثبتت مظالمهم للرعية في الاندلس ، ولذلك قوبلت ولايته على الاندلس بالفرحة والاستبشار.

وبعد عام من ولايته اجتمع إلى صفوفه المتطوعين من البربر وعددهم مابين ٧٠٠٠٠و١٠٠٠٠٠ وكان قد نشب خلاف بين الغافقي وبين احد قواد المسلمين (مونوسه البربري) وانتهى ذلك بقتل هذا القائد (مونوسه) فغضب (صهره) الدوق (اودو) – مما دفعه إلى التحالف مع (شارل مارتيل) وخرج الغافقي سنة ١١٤ هـ على رأس جيوشه متجها إلى (دوقية اكيتانيا)، ويبدو أنه (الغافقي) أراد أن يؤمن نفسه من الوراء قبل مهاجمة اكيتانيا، فبعث فرقة من رجاله استرجعت مدينة آرل، والحقيقة أن حملة الغافقي على مدينة آرل ليست الا خدعة ؛ لصرف نظر الفرنجة عن الهدف الرئيس لحملته الاساسية وهي دوقية اكيتانيا ومملكة الفرنجة.

ثم واصلت جيوش الغافقي زحفها نحو الشمال في قلب اكتيانيا (برديل) فأسرع (دوق أودو) لصد هذا الهجوم ولكنه هزم مع جيوشه ، فدخل المسلمون (برديل) عنوة وغنموا غنائم عظيمة ، وجردوا الكنائس والأديرة من كنوزها وقتلوا من خصومهم أعدادا لا يعلمها إلا الله تعالى.

ثم اتجه (الغافقي) مع جيوشه إلى (تور) المليئة بالنفائس والكنوز ، فاستنجد (دوق أودو) بـ(قارلة) الذي رأى مصالحته مؤقتا لصد المسلمين – فجمع جيوشه من سائر انحاء (غاله) وجاء الجند الشماليون مع أسلحتهم المتفوقة ، وكانوا جند أقوياء – لا يقلون عن العرب والبربر في الشجاعة والبطش.

لكن ظروف (الغافقي) لم تكن كظروف طارق بن زياد أثناء الفتح ؛ لأنه اقتحم بلاداً تختلف عن بلاد الاندلس من حيث المناخ والسكان، كما انه لم يكن للمسلمين فيها قواعد ثابته يستمدوا منها نجداتهم ، ثم ان جنود المسلمين كانوا قد أوغلوا في البلاد واثقلوا كاهلهم بالغنائم الكثيرة – حيث كانت عبئا ثقيلا عاقهم عن سرعة الفتح، ثم إن إمارة (غالة) قد تكتلت جميعا لصد المسلمين عن الجنوب، اضف الى ذلك أن ريح الاسلام قد ركدت في بلاد غالة ، حيث انقسم المسلمون على انفسهم ؛ حيث فرقت العنصرية القبلية بين العرب اليمنيين والقيسيين في جيش (الغافقي) ، ثم ان البربر الذين يشكلون السواد الاعظم في جيش (الغافقي) كانوا يحقدون على العرب بعد أن قتلوا زعيمهم (مونوسة) وهذا كله يشكل خطرا على وحدة الصف الاسلامي .

وقائع المعركة

وبعدها تفاجأ المسلمون الذين خرجوا من (بواتيه) بوجود جيش يقوده (قارلة) فحدثت المعركة الكبرى (بلاط الشهداء) في سهل يقع شمال بواتيه – وذلك في أواخر شعبان سنة ١١٤هـ .

واستمرت المعركة ثمانية أيام، بدأ المسلمون فيها بالقتال ، حدثت مناوشات بسيطة في اليومين الأولين ، ثم تحول القتال الى صدام مروع، ورجحت كفة المسلمين ؛ لثباتهم واستبسالهم ، لكنهم ما إن اخترقوا صفوف الفرنجة حتى فوجئوا بالأسوار المنيعة من الجيوش (من ألمان ، وسواف وسكسكون).

ويبدو أن سياسة (أودو) فى التفافه مع فرقة من جيشه خلف جيش المسلمين ، ومهاجمته لمؤخرته ؛ للسيطرة على غنائمهم . دفع المسلمين أنفسهم والذين كانوا يحاربون فى ميمنة الجيش الإسلامي وميسرته إلى التراجع إلى المعسكر؛ لاستخلاص الغنائم من أيدى الفرنجة مما أخل ذلك بنظام الجيش ، فحاول (الغافقي) معالجة ذلك فلم ينجح، وأصابه سهم منهم من العدو وأرداه قتيلا.

وترتب على قتل (الغافقي) اضطراب نفوس المسلمين وارتباك صفوفهم ؛ فأحاط الفرنجة بهم وحصدوهم حصداً ، وصبر المسلمون حتى الليل ..

ورأوا أن البقاء في الميدان معناه (القضاء على البقية الباقية من المسلمين) فأجمعوا على الرجوع الى ديار الاسلام ورجعوا في ظلام الليل ، وتركوا خيامهم وغنائمهم . وعادوا إلى (أربونة) .

أما الفرنجة فقد باتوا ليلتهم على نية القضاء على بقية المسلمين في صباح اليوم التالي .. فوجدوا عسكر المسلمين خاليا من كل شيء ولم يحاول (قارلة) أن يتبع فلول المسلمين؛ خوفا من وجود كمين ينصبوه لجيشه ، أو ربما أنه وجد صعوبة في قتال المسلمين .

والراجح أن عدد الجيش الإفرنجي كان يفوق كثيرا الجيش الإسلامي.

وسميت هذه المعركة ببلاط الشهداء ؛ لكثرة من استشهد فيها من المسلمين ؛ لكن ليس بالتهويل والمبالغة التي تشير إليه الرواية الأوربية – وتعتبر هذه المعركة من المواقع الفاصلة في التاريخ العام ، وذلك لما ترتب عليها من نتائج هامة منها :

وضعت حداً للتوسع الإسلامي فيما وراء جبال ألبرت .

وأصبح قادة المسلمين في الأندلس يحسبون لقوة (قارلة) حسابا كبيرا.

كما أحدثت كارثة المسلمين في بلاط الشهداء دويا هائلا في افريقية والأندلس ، فأسرع والي افريقية بتنصيب وال من قبله على الأندلس (عبدالملك بن قطن الفهري)

وحين فطن (عبدالملك) أول ولايته إلى الأثر السيء الذي احدثته هزيمته أهل المعركة في نفوس السكان من شمال الاندلس (البشكنس) وسكان سبتمانيا، وما يليها من بلاد غالة. (عندها) غزا أرض البشكنس سنة ١١٥ هـ فأوقع بهم وغنم ، ثم عبر جبال البرت، وعمل على تحصين المدن والمعاقل التي كانت في ايدي المسلمين .

وأظهر عدد من الكتاب الغربيين – الذين أدركوا شيئا من روعة الاسلام وصدق عقيدته وسمو مبادئه وما جلبه لها من الحضارة والإنسانية الكريمة واعتبروا نتيجة (بلاط الشهداء) نكبة كبيرة أصابت أوربا وضربة عنيفة حرمتها من الحضارة المنيرة وكرامة الانسان .. ؛ ذلك لما أصابها على يد جند الفرنجة بقيادة (شارل المطرقة) فأساء إلى أوربا ومستقبلها الحضاري وكرامة إنسانيتها.

المحاضرة السابعة
سياسة المسلمين الداخلية في الأندلس

يغلب على سياسة المسلمين في الأندلس طابع النزاع بين العرب والبربر ، وجاء ذلك على مراحل عدة منها:

١/ بدأ النزاع من ولاية يزيد بن أبي مسلم على افريقية في عهد (يزيد بن عبدالملك) سنة ١٠١ هـ وكان يزيد كاتبا للحجاج بن يوسف الثقفي المعروف بتعصبه للعرب على الموالي واستبداده بهم، فتشبه (يزيد بالحجاج) واستبد مع البربر ، واشتد عليهم في جمع اموالهم ، وسبي نساءهم ، حتى أوغر عليه صدورهم ، وكان يزيد ظلوما ، وكان البربر يحرسون ، فأراد أن يعمل بحراسة كما تصنع الروم بحراسها ، فاتفقوا على قتله فقتلوه في مصلاه.

٢/ وخلفه بشر بن صفوان وكان (كلبيا) فأقام عنبسه على الأندلس، وقتل (عبدالله بن موسى بن نصير) وعذب انصاره ، ثم ولى (هشام بن عبدالملك) مكان (عبيدة بن عبدالرحمن السلمي) قيسياً . وكان هذا رغم حسن رأيه وحزمه شديدا في معاملته للبربر، فأسرف في غزو قبائلهم وسبى نسائهم ، فاستعفي من منصبه.

٣/ ولى الخليفة هشام مكان (عقبة بن قدامة) في شوال سنة ١١٤ هـ ، ثم خلفه (عبيدالله بن الحبحاب) الذي قدم افريقية في ربيع الآخر سنة ١١٦ هـ ، وكان قيسيا متعصبا لها ضد البربر وضد اليمنيين ، وبلغ من استحقاقه من البربر ان جعلهم عبيدا للمسلمين وفيئا لهم .. فأثار ذلك نفوس البربر في المغرب وجعلهم يتهيئون الفرصة للانتقام منه ، في الوقت الذي انقسم فيه العرب في المغرب الى عصبتين (القيسيين واليمنيين) ، ساعدهم على ذلك الخوارج الذين تسللوا الى المغرب وبثوا تعاليمهم بين البربر فأثروا عليهم ، ونقضوا طاعتهم لعبيد الله بن الحبحاب ، فاضطر الاخير الى الدخول في صراع مع ميسرة المدغري ، وبعده خالد الزناتي الذي خاض معركة الاشراف التي هزم فيها المسلمون العرب وقتل فيها حماة العرب وأبطالها .

وتأثر أهل الأندلس بثورة البربر في المغرب فوثبوا على أميرهم (عقبة بن الحجاج) فعزلوه وولوا مكانه (عبدالملك بن قطن) فاختلفت الأمور على (ابن الحبحاب) فعزله (الخليفة هشام) عن افريقية سنة ١٢٣ هـ وقال في حق البربر (والله لأغضبن لهم غضبة عربية ، ولابعثن لهم جيشا اولهم عندهم وآخره عندي)وأرسل اليهم بجيش ضخم بلغ عدده

(٣٠٠٠٠) جعل على قيادته (كلثوم بن عياض القشيري) الذي تولى المغرب بدلا من (ابن الحبحاب)

ودارت الحرب بين الطرفين وانهزمت العرب ، حتى انهم ذكروا ان البربر قتلوا ثلث الجيش واسروا ثلثه الثاني وطاردوه الثلث المنهزم ، فأثار ذلك نفوس العرب في الاندلس ، فأمدهم (عبدالرحمن بن زياد) بالمؤنة والطعام والشراب وأنقذوهم من الهلاك . خاصة بعد أن لجأوا إليهم فارين.

ونتيجة لما تقدم ثار بربر الأندلس على عربها ، فأخرجوا عرب (جليقية) وقتلوهم ، كما اخرجوا عرب (استرقه والمدائن) كما وثبوا على عرب المناطق الشمالية والغربية ؛ لان البربر فيها يشكلون السواد الاعظم من سكانها (وهم بعيدون عن مراكز الامارة) ، فاضطر الى التعاون مع عرب المغرب ؛ ليسمح لهم بالوصول الى الاندلس ويعينوهم على العدو المشترك واشترط عليهم المقام في الاندلس مدة سنة كاملة حتى يحققوا ما جاءوا من أجله . فعبر (١٠٠٠٠) من عرب المغرب وهاجموا بمساعدة عرب الاندلس (بربر شذونة) وأبادوهم وأصابوا أمتعتهم ودوابهم.

وأقبل البربر في حشود هائلة من جليقية واسترقة وماردة وقورية ، متجهين نحو (قرطبة)والتقوا مع قوات المسلمين العرب (طليطلة) لكن المسلمين أحرزوا النصر عليهم ولم ينج من البربر إلا من فر بحياته.

وبنهاية القتال والنصر للمسلمين طلب (ابن قطن) من المغرب العودة إلى بلادهم ، فلم يوافقوا على ذلك إلا بعد أن تهيأ لهم السفن للعبور عليها .. فاختلفوا مع بعضهم حتى قتل (ابن قطن) نتيجة لذلك .

الصراع بين القيسية واليمنية (مناقشة٨)

أثار مقتل (عبدالملك بن قطن) على يد عرب الشام المقيمين فى المغرب . موجة من الغضب فى الأندلس ، فاتحهم العرب البلديون (الذين جاءوا الى الاندلس مع الفتح الاسلامي لها) بقيادة (قطن ، أمية) ابني عبدالملك مع البربر ، الذين كانوا يتلهفون لنيل ثأرهم من أهل الشام ، وانضم اليهم (عبدالرحمن اللخمي) عامل عبدالملك بن قطن في

(اربونة) وجيوشه الاسلامية المرابطة في سبتمانيا ، التقى هذا الجيش مع جيش الشاميين في (برطورة) وانتهت الموقعة بهزيمة البلديين (من سكان الاندلس العرب).

وبناءاً على ذلك ولي (هشام بن عبدالملك) – (حنظلة الكلبي) على افريقية ، وأمره أن يولي ابن عمه (أبا الخطار الكلبي) الاندلس ؛ ليضع حداً للفتنة القائمة بين العرب (البلديين) والبربر وبين الشاميين ، فجاءها رجب سنة ١٢٥ هـ وقاتل الشاميون البلديون في (ماردة) فهزموهم وقتلوا وسبوا منهم ذراريهم ، وجاء (أبو الخطار الكلبي) فأمر بإطلاق الاسرى والسبي ، ووحد صفوف عرب البلد (الاندلس وعرب الشام) ودانت له الاندلس ، وأمن (ابني عبدالملك بن قطن) ، وفرق جند الشام على كورا الاندلس ؛ وجند فلسطين بشذونة، وجند حمص باشبيليه، وجند قنسرين بجيان، وجند مصر بباجه وتدمير، ولم يمس غنائم البلديين من العرب والبربر بنقص، ومع ابنه كان طيبا إلا أنه كان متعصبا لليمنية. (أي باعد بينهم مكانيا لكي لا يتخاصموا ويقتتلوا مرة اخرى)

واضطر (أبو الخطار الكلبي) إلى الانحراف عن الاصلاح ؛ لأن أحد القيسيين قتل احد اصحابة (سعد بن جواس) فكانت الشرارة الاولى ، واختلف احد المضريين مع احد اليمنيين ، فشكاه اليمني إلى (ابي الخطار) فانحاز الاخير في حكمه إلى (اليمني) ، فالتجأ المضري إلى (الصميل: ذي الجوشن) وكان زعيما للقيسية في الاندلس ، فجاء الصميل؛ للتفاهم مع اب الخطار فسبه أمام الجند فعزم على الثأر منه .

واستعان الصميل بالمنحرفين أبي الخطار من اليمنيين ، وأعانه قومه على ذلك ووقف معه (ثوابه الجذامي) من لخم وجذام – وهزم (أبا الخطار الكلبي) أمام هؤلاء ووقع في الأسر . وتولى (ثوابه الجذامي) إمارة الاندلس – ثم توفي بعد عام واحد سنة ١٢٩ هـ .

وتولى بعد ذلك (يوسف بن عبدالرحمن الفهري) وكان كبيراً في السن ؛ مما سهل على (الصميل) تحريكه وفقاً لرغباته .. وتركت (كورة رية) ليحي الجذامي الذي خرج لمنافسته (يوسف الفهري) . واجتمعت قضاعة على رئاسة (عبدالرحمن الكلبي) فاتجه الأخير مع (٢٠٠) رجل واخرجوا (أبا الخطار الكلبي) من أسره.

ولكن تحرير أبي الخطار الكلبي من الأسر . لم يغير شيئا في موضوع (ولاية يوسف الفهري) واجماع اليمنية والمضرية عليه ، لكنه قام (يوسف الفهري) بالغدر بـ(يحي الجذامي) وعزله عن (ريه) فغضب هذا الاخير وتضامن مع (أبي الخطار الكلبي) على

(الصميل، ذي الجوشن) و (يوسف الفهري، والصميل) وهنا اشتعلت نار الحرب بين العصبيتين اليمنية والمضريه، وهي أول حرب كانت في الإسلام بهذه الدعوة.

اصطدم الفريقان في (شقنده) جنوبي قرطبة ، واشتد القتال ، والتفت الساق بالساق وانضمت الاعناق الى الاعناق ، ولم يعهد حرب مثلها بعد الجمل وصفين .. واستعان (الصميل) بغوغائي قرطبة ومعهم (٤٠٠) رجل فرجحت كفة المضريين ، وانهزم (يحي الجذامي، وابن الخطار الكلبي) بمن معهما من اليمنية و ووقعا في الأسر وجيء بهما إلى كنيسة بقرطبة، فأصبح (الصميل) الوالي الفعلي للاندلس . والاسم (ليوسف الفهري)

واجتاحت الأندلس عقب هذه الفتنة مجاعة كبرى دامت خمس سنوات (١٣١ – ١٣٦هـ) وتعرف هذه السنوات الخمس بسني برباط؛ بسبب هجرة كثير من المسلمين عن طريق وادي برباط الى المغرب . ولم تفلت من المجاعة في الأندلس سوى (سرقسطة) حيث مزارعها وخيراتها الوفيرة ، وكان معظم سكانها من اليمنية الذين اعتزلوا الفتنة ، فعمد (يوسف الفهري) الى اذلالهم بوالٍ قيسي مشهور بعصبيته ضد اليمنية ، وعين (الصميل) على سرقسطة ، ليبعده من (قرطبة) خاصة بعدما خشي جانبه؛ لكثرة تحكمه في أمور البلاد وازدياد سلطانة.

وحدث خلاف بين (عامر بن هاشم) وكان جنديا باسلاً ، وبين يوسف الفهري، وكان (عامر) يعتمد على اليمنيين المقيمين في (اشبيليه وسرقسطة) وكتب (يوسف الفهري) فلم يجبه، فاستنجد بالقيسيين وسألهم نصرته ، فأجابه منهم (عبيدالله الكلابي) وجماعة من محارب

وسليم ونصر وهوازن وكان الجميع لا يتجاوز (٣٦٠) فارساً ، وانظم إليهم موالي بني أمية في (٣٠) فارساً ، وهؤلاء كانوا يفكرون في تمهيد الطريق (لعبدالرحمن بن معاوية بن هشام) اكثر مما يفكرون في نصرة (الصميل) وخافوا أن يستسلم إذا يئس من وصول المدد ، فأرسلوا إليه يبشرونه بقرب المدد .. فعلم المحاصرون بذلك ؛ فرفعوا الحصار عن سرقسطة. (ملاحظة \ هذه الصفحة لم يشرحها الدكتور)

المحاضرة الثامنة
سقوط الدولة الأموية وما ترتب عليها من نتائج

١/ نهاية الدولة الأموية

كثرت الفتنة والاضطرابات في عهد آخر خلفاء بني أميه (مروان بن محمد ١٢٧ – ١٣٢هـ) فخرج عليه بالكوفة عبدالله بن معاوية داعيا إلى نفسه ومعه الشيعة، وثار عليه أهل الأمصار الكبرى من حمص ، والغوطة ، وفلسطين كما ثار عليه سليمان بن هشام بن عبدالملك مع جموع من اهل الشام يطالب بالخلافة ، وظهر مجموعة من الخوارج على رأسهم الضحاك بن قيس الشيباني في الكوفة .. ثم تلاه الخارجي سعيد الخيبري ثم شيبان اليشكري، جاء بعدهم صاحب الفتنة (المختار بن ابي عوف الازدي) المعروف بابي حمزة الذي سيطر على مكة والمدينة وكل هذه الفتن والمشاغل التي كانت بالشام والحجاز شغلت (مروان بن محمد) عن خراسان وما كان يجري فيها ، مما ساعد أبي مسلم الخراساني على أخذ خراسان ومبايعة أهلها على (الرضا من بني العباس) ثم مدوا سلطانهم إلى العراق ، فاستولوا عليها من عمال بني اميه .

وحين بويع ابو العباس السفاح بالخلافة سنة ١٣٢هـ . أرسل عمه (عبدالله بن علي) على رأس جيش لملاحقة مروان بن محمد ، فالتقاه عند نهر الزاب جمادى الآخر سنة ١٣٢هـ وهناك دارت موقعة عظيمة هزم فيها مروان بن محمد ، واخذ يتنقل من بلد إلى آخر حتى ترك الشام وذهب إلى مصر، فبعث إليه عبدالله بن علي . أخاه صالح بن علي، فتابعه حتى لقيه في كنيسة بقرية (بوصير)

وبعد قتال خفيف قتل (مروان بن محمد) وبقتله انتهت أيام الدولة الاموية (قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء . وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير)

٢/ أسباب سقوط الدولة الأموية (مناقشة ٩)

حاول عدد من الباحثين دراسة سقوط الدولة الأموية ، ونظراً لكثرة الروايات التاريخية المتضاربة التي تزخر بها المصادر ، فقد تنوعت الاسباب التي توصلوا اليها ، وتباينت ردود فعلهم حيالها ، ومن بين ما توصلوا إليه :

١/ تعصب خلفاء بني أميه للعرب والاهتمام بهم دون غيرهم، مما أغضب المسلمين من غير العرب (الموالي)في الاقاليم المفتوحة ، ودفعهم لمناصرة أية حركة ضد الامويين – ولكن مثل هذه المقولة لم يعد يؤخذ بها بناء على الدراسات التى أوضحت ما كان يتمتع به بعض الموالى من مزايا فى المجتمع الاموى.

٢/ النزاع بين القبائل العربية (القيسية ، المضرية أو العدنانية) والقبائل اليمنية، القحطانية، وميل خلفاء بني أمية إلى فئة دون اخرى – ولكن المدقق في مسيرة الاحداث في العصر الاموي يجد الدولة رغم كل ازماتها قد ظلت متماسكة حتى (عهد هشام بن عبدالملك) سنة ١٢٥ هـ . ثم بدأت في الانحدار السريع.

٣/ الحركات الدينية والسياسية التي تمثل مختلف الاتجاهات والتيارات الفكرية (انصار العلويين، والخوارج، وابن الزبير، والحركات الاخرى ومنها: حركة ابن الاشعث، وحركة يزيد بن المهلب) ولكن هذه الحركات وان كانت قد نجحت في اشغال الخلافة الاموية وإضعافها ، إلا انها لم تكن احد العوامل الرئيسية التى ادت الى سقوطها.

٤/ الاضطراب المالي للدولة الأموية ، نتيجة لسوء توزيع العطاء والقطائع ، وتسرب الخلل الى ادارة جباية الخراج والجزية ، وتدهور القيمة الفعلية للنقد الاسلامي، وخاصة في أواخر عهد الدولة الاموية.

٥/ إلزام خلفاء بني أمية أنفسهم بتنفيذ نداء الجهاد ، وسياسة التوسع العسكري ، وأصبحت هذه السياسة في بعض الاحيان فوق طاقتهم، وبخاصة في عهد هشام بن عبدالملك ، حيث منى الجيش بهزائم متلاحقة فى بلاد المغرب وجنوب فرنسا وفى بلاد السند ، مما ساعد في عدم استطاعتهم ضبط الامور داخل ارضهم .

٦/ ما قام به مروان بن محمد من نقل العاصمة إلى مدينة حران والابتعاد عن أهل الشام (أهل دمشق) الذين كانوا يعتبرون انفسهم عصب الحياة بالنسبة للخلفاء الأمويين ، فما كان من أهل الشام إلا أن نقموا أو تراجع حماسهم عندما استعان بهم مروان بن محمد في أيامه الاخيرة .

٧/ مقتل الخليفة الوليد بن يزيد بن عبد الملك على أيدي أبناء عمومته ؛ مما أدى إلى افتراق كلمتهم، فأخذوا يتنازعون فيما بينهم ، وبدو وكانهم قد تعاونوا على قتل الاسرة الاموية .

٨/ تعيين الأقرب نسبا للخليفة في ولاية العهد دون غيره من بني أمية ، حتى وان كان ذلك الغير هو الافضل ولعل ذلك جاء نتيجة لعاطفة الأبوة ، ويتمثل هذا في رد معاوية على الذين تساءلوا عن فكرته حصر الخلافة في ولده يزيد بن معاوية وحرمان آخرين منها. إذ قال لهم: ((ابني احب الي من ابناؤهم))

٩/ عدم الاستفادة من مقدرات أبناء الإماء ، حتى وان كانوا اكفاء من غيرهم ، فهذا مسلمة بن عبدالملك لم يكن لعبدالملك . ابن أسد منه رأيا . ولا اذكي عقلا ولا أشجع قلبا – ولكن لأنة كان ابن امة ، ولان بني امية كانوا يتطيرون من ترشيح ابناء الاماء الى منصب الخلافة خشية زوال ملكهم على يد ابن ام ولد.

١٠/ استمرارية التنافس بين أبناء البيت الأموي للفوز بمنصب الخلافة.

٣/ النتائج المترتبة على سقوط الدولة الأموية:

لعل من أهم النتائج : -

أن قام العباسيون عقب مقتل (مروان بن محمد) بمحاصرة آخر جيوب المقاومة الموالية للأمويين ، وذلك في مدينة واسط، والتي اعتصم فيها (يزيد بن عمر بن هبيرة الفزاري)آخر ولاة الامويين في العراق ، وحاول مجابهة العباسيين وحشد المناصرين ، ولكنه فشل في ذلك فاستسلم على امان من ابي جعفر المنصور ، والذي قتله بعد ذلك غيلة وغدراً؛ ربما لشكه في نواياه ، فقوي بذلك امر العباس واستقرت دولتهم.

صودرت ممتلكات أفراد البيت الأموي، وتعرضوا للمطاردة والتنكيل حيثما وجدوا ، ولعل مذبحة نهر أبي فطرس (ويدعى اليوم نهر العوجا) والعوجا موضع قرب مدينة الرملة بفلسطين. كانت أبشعها ، ومن ناحية أخرى . هرب جماعة منهم إلى بلاد النوبة والحبشة وتبالة (على بعد ٤٦ كيلا مترياً) من مدينة بيشة جنوب المملكة العربية السعودية . وبلاد المغرب ،وكان من بين هؤلاء (عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبدالملك بن مروان) الذي فر معه بعض اعوانه الى المغرب ثم الاندلس ؛ حيث نجح في تأسيس إمارة أموية

هناك في سنة ١٣٨ هـ واشتهر بعبدالرحمن الداخل ، وهو الذي اطلق عليه الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور لقب : صقر قريش؛ تقديراً منه لشجاعته وبطولته، وفي المغرب الاقصى (ادريس بن عبدالله بن الحسين بن علي بن ابي طالب)وهو اول المتغلبين من البيت الادريسي سنة ١٧٢ هـ .

ارتفع شأن العباسيين في الأقاليم الإسلامية ؛ وأصبحت لهم السيطرة الفعلية، كما علا شأن الثورة العباسية وهي (ثورة ايرانية) انبعثت من ايران ، ووجدت صدى ومنطلقاً في مدن ايران وريفها ، وخرج المد الثوري منها إلى كافة الجهات الاسلامية ، وكان العباسيون – بعد نجاح ثورتهم – احرص ما يكون على ايران وعلى ولاء اهلها ، ولذلك نجدهم يلجأون الى الخراسانيين كلما احتاجوا الى سند من القوة ، فقد لجأ المأمون مثلاً إلى الخراسانية في نزاعة مع الامين ، ولجأ المعتصم إلى الاتراك حين احس بحاجة الدولة العباسية الى دم جديد.

المحاضرة التاسعة
عصر الإمارة الأموية

وصل (عبدالرحمن بن هشام بن عبدالملك) تونس. وبقي بها فترة ، واستأنف سيره نحو المغرب الأقصى – قرب طنجة – حيث نزل عند أخواله (قبيلة نفزاوه) ، وفي سنة ١٣٦هـ بدأ يعد العدة لدخول الأندلس : وكانت السلطة في الاندلس عند رجلين (يوسف الفهري ، ثم الصميل بن حاتم). فأرسل (ابن معاوية) معاونة (بدراً) وهو رومي الأصل إلى الأندلس ؛ بكتاب يدعو إلى تأييده ؛ فاجتمع له مؤيدين – ثم بدأ ينظم اموره ويلم جمعه للوقوف في وجه معارضيه.

واصطدم (ابن معاوية) مع جموعه في قرطبة سنة ١٣٨هـ وبمعارضيه (يوسف الفهري، والصميل) فجرت بينهم معركة حاسمة سميت (بالمصارة) ، تغلب فيها (ابن معاوية) على خصومه ، وفر (يوسف الفهري) هاربا امامه ، ودخل (ابن معاوية) قرطبة، وبويع فيها اميراً على الأندلس. وقام (يوسف الفهري، والصميل) بمحاولات يائسه انتهت بموتهما.

لقب (عبدالرحمن بن معاوية بن هشام) بالداخل ؛ لأنه أول من دخل الاندلس من بني أمية حاكماً ، وبه يبدأ عهد آخر في الاندلس نسميه (عهد الامارة) ؛ فقد كان كل من حكامه يسمى أميراً ، واستمر عهد الامارة حوالي قرن وثلاثة ارباع القرن ، حتى اعلان الخلافة في الاندلس من قبل عبدالرحمن الناصر سنة ٣١٦هـ - وعرف عبدالرحمن بن معاوية بالأول ؛ لانة اول ثلاثة حكام من بني أمية في الاندلس حملوا هذا الاسم مع (عبدالرحمن الثاني. الأوسط ٢٠٦ – ٢٣٨هـ) و (عبدالرحمن الثالث الناصر لدين الله ٣٠٠ – ٣٥٠هـ) - وقد لقب ابو جعفر المنصور (عبد الرحمن بن معاوية الأول) بصقر قريش ؛ لبراعته وقوة نفسه وتوليه الحكم في الاندلس بعد ان كان هاربا من بين ايدي العباسيين.

أما ابرز الأحداث في هذا العهد ؛ فقد وقعت عدة احداث في داخل الاندلس وخارجها: أما الاحداث الخارجية فتكمن في قضيتين :

الاولى : هجوم شارلمان (ملك فرنسا) على الاندلس: (مناقشة١٠)

سعى بعض العصاة الأندلسيين (شمالي البلاد) للانفصال عن قرطبة ؛ بمقاومة السلطة المركزية الاندلسية والقضاء عليها بأي ثمن ، فلجأوا إلى (شارلمان) امبراطور الدولة

الافرنجية الى الاندلس ؛ ليعاونهم في تحقيق هذا الهدف ، ويكونوا له عليها وكلاء بهيئة أمراء(وياحبذا الامارة ولو على الحجارة).

فاستدعى (شارلمان) لمهاجمة الاندلس بعض العصاة فيها : (سليمان الاعرابي الكلبي) والي برشلونة و (الحسين بن يحي الانصاري) والي سرقسطة.

فأبتدأ (عبدالرحمن بن هشام) بمقاتلة العصاة سنة ١٥٨هـ . فأرسل جيشاً إلى (سرقسطة) بقيادة ثعلبة الجذامي فهزم الجيش ، وأسر ثعلبة الجذامي ، وأرسلوه مع وفد إلى شارلمان – عربونا ودليلا – لدعوته الى مهاجمة الاندلس والسيطرة عليها بمعاونتهم.

وبناء على ذلك سار (شارلمان) مع جيش كبير . قسمه إلى قسمين :

الأول: اجتاز جبال ألبرت من الشرق والآخر بقيادته من ممر (باب الشيزر) ليلتقي الجيشان عند (سرقسطة) وعند وصول شارلمان مع العصاة إلى (سرقسطة) فوجئوا بتحصن واليها (الحسين بن يحي الانصاري)وامتنع من تسليم بلاده الى شارلمان، وقاومت بلاده ذلك الحصار الشديد الذي فرضه (شارلمان) عليها – ولكن الأخير اضطر إلى العودة إلى بلاده مسرعاً بعد أن علم بثورة السكسونيين على فرنسا. وأخذ معه (سليمان الاعرابي) أسيراً ؛ لشكه في نواياه .

وحين علم ولدا الأعرابي (عيشون ومطروح) بمصير ابيهما لحقا بشارلمان ؛لإنقاذه ، واتفقا مع (البشكنس) سكان الشمال الذين أرادوا الاخذ بثأرهم من شارلمان ، واستطاعوا جميعا مهاجمة مؤخرة جيش شارلمان وهو يعبر (جبال البرت)عائدا الى بلاده ، فأبادت مؤخرة جيش شارلمان ؛ حيث كان فيها كبار ضباطه مع الغنائم والأسرى وذلك سنة ١٦١هـ.

وكان من نتيجة هذه الحادثة : أن تغيرت سياسة دولة الفرنج نحو الاندلس، وبدأ شارلمان يبحث عن المسالمة والصلح ويروي المقري في نفح الطيب أنه قامت معاهدة سلم بين شارلمان و (ابن هشام) ودعوة للمصاهرة ، فأجابه للسلم ، ولم تتم المصاهرة.

الثانية : هجوم النورمان على الاندلس ذي الحجة سنة ٢٢٩هـ

هاجم النورمان (سكان الدول الاسكندنافية) – السويد – والنرويج – والدنمارك . ولأول مرة سواحل الأندلس الغربية فجأة سنة ٢٢٩ هـ. (الهجوم الأول) أمام مدينة لشبونة في ٥٤ مركبا ومثلها قوارب ، وانحدروا بعدها إلى اشبيلية ، ثم هاجموا قرطبة براً على الخيل ، ثم عادوا الى اشبيلية ثم لشبونة – ثم عادوا الى البحر وارتكبوا خلال ذلك فضائع وفضائح من القتل والسلب والنهب والتخريب ، واستغرقت هذه العملية حوالي مائة يوم، وكان من نتائج هذا الهجوم :

١/ إرسال ملك الدانمرك (ريك) ٢٤٠ هـ الى الاندلس وفداً يطلب عقد معاهدة ؛ لإحلال السلم مكان العداء فوافقت السلطة الاندلسية ، وأرسل (عبدالرحمن الاوسط) سفارة جوابية برئاسة (الغزال) الشاعر الحكيم الاندلسي .

٢/ بناء سور اشبيلية أيام (عبدالرحمن الأوسط) وخاصة بعد غلبة النورمان عليها ، فبني بالحجر القوي، وبنوا جامعاً فيها، وهو من عجيب المباني وجليلها.

٣/ نمو البحرية الأندلسية بسرعة كبيرة ، بحيث ان النورمان لم يحققوا شيئا ، وخسروا كثيرا في بداية هجومهم الثاني وذلك بعد خمسة عشر عاما من الاول ، وقد ردوا عن سواحل الاندلس وتكبدوا الكثير ، كما زادت دور صناعة السفن كثرة وقوة ومهارة ، وغدا الاسطول الاندلسي مستعدا دوما وحارسا ؛ ليس لسواحل الاندلس فقط ؛ بل يجول مياه الأطلسي حتى خليج بسكاي .

(الهجوم الثاني) سنة ٢٤٥ هـ بعد خمسة عشر عاما من الأول:

وأبحر الدانمركيون في هجومهم الثاني في ثمانية عشر مركبا وانحدروا جنوبا حتى الجزيرة الخضراء ، واحرقوا مسجدها الجامع (الرايات) ثم دخلوا البحر المتوسط وهاجموا مدينة (تكور) في الشمال الافريقي سنة ٢٤٤ هـ وتغلبوا عليها وانتهبوها وسبوا من كان فيها إلا من لاذ بالفرار ، وكان ممن سبوا ٠أمة الرحمن، وضغولة. ابنتا واقف بن المعتصم بن صالح) ففداهن الإمام (محمد بن عبد الرحمن الأوسط) .

وعادوا بعدها إلى شواطئ الأندلس الشرقية ، مصعدين في البحر المتوسط ، فردهم المسلمون وطردوهم ووصلوا حتى افرنجه (جنوب شرق بلاد غالة) حيث اسروا ونهبوا ،

وشتوا في مدينة باسمهم ، ثم عادوا إلى الساحل الاندلسي .. حتى وصلوا خليج بسكاي، وهاجموا (بنبلونة) وأسروا ملكها (غرسيه) ففدى نفسه منهم.

صد النورمان في هذا الهجوم ما يزيد عن أربعين من مراكبهم وكثرة من رجالهم ، وردوا خائبين ، ولم يستطع النورمانيون النيل من الاندلس مثل الهجوم الاول ؛ لتحصينهم بعض المدن الساحلية ، وإنشاءهم سفنا حربية لحماية شواطئهم.

(الهجوم الثالث) سنة ٢٤٧ هـ

وبعد سنتين فقط من الهجوم السابق قام النورمانيون بهجومهم الثالث على الأندلس ، فكتب إلى عمال الساحل بالاحتراس والاحتياط ، فلم يكن للعدو هذه المرة نصيب طيب في الاندلس أو الاضرار بأهل السواحل كسابقته من الهجومين الاولين ، ولم يجدوا في السواحل مطمعا ، لشدة ضبطها ، وتعطبت من مراكبهم اربعة عشر مركبا ، وأسرع الجيش الى العودة الى بلادهم يجرون اذيال الخيبة ، ولم يكن لهم بعد ذلك رجعة.

وبعد هذا الهجوم الفاشل لم يقدم النورمانيون على مهاجمة الأندلس ، وتوقفوا بنحو ما يزيد على قرن من الزمان حتى أوائل النصف الثاني من القرن الرابع الهجري.

الأحداث الداخلية ومن أهمها: (مناقشة ١١)

أولا: الدعوة للعباسيين :وبعد مرور عشر شهور على تولي (عبدالرحمن الداخل) امارة الاندلس قطع الخطبة للعباسيين ، وبذلك قطعت الاندلس عن بقية العالم الاسلامي وخلافته ادرايا وسياسيا ، لكن لم تنقطع عنه بكافة علاقاتها الحياتيه الاخرى ؛ لوجود رابطة العقيدة الاسلامية (والف بين قلوبهم لو انفقت ما في الارض جميعا ماالفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم انه عزيز حكيم)(الانفال: ٦٣)

ولم تحدث مواجهات مباشرة بين الأندلس والخلافة في المشرق الإسلامي ، ولم تتخذ الأندلس أي إجراء ، سوى ما أشاعه (عبد الرحمن الداخل) سنة ١٦٣ هـ رغبة للرحيل الى الشام لانتزاعها من بني العباس ، لكنه اقلع عن هذا .

أما الخلافة العباسية فلم تقم أو تشارك بعمل جاد لإعادة الأندلس إلى سلطان الخلافة منذ عهد الأمارة فيها إلا أنها لم تمانع من إظهار الرضى عمن يقوم في الأندلس داعيا إلى الدعوة العباسية. منهم : -

١/ قدم الأندلس من شمال افريقية (العلاء بن المغيث الجذامي سنة ١٤٦هـ) داعيا للخلافة العباسية ، ونزل مدينة باجه ونشر بها الاسلام ، والتف حوله من الناس، فقاتله (عبدالرحمن بن معاوية) في قرمونة قتل فيها (العلاء) وتفرق جمعه.

٢/ دخل الأندلس سنة ١١٦هـ (عبدالرحمن الفهري) المعروف بالصقلبي، ونزل بتدمير ، وتراسل مع (سليمان الاعرابي) ولم يتفقا ودارت بينهما موقعة قضي فيها على (عبدالرحمن الفهري)

ثانيا : وقعة هيج الرمض:

وحدثت سنة ٢٠٢هـ في الربض الجنوبي من قرطبة أيام الحكم الأول (١٨٠ – ٢٠٦هـ) وقضى الحكم الربضي عليها بقسوة وعنف.

٣/ حدث غريب . قام في عهد (عبدالرحمن الاوسط سنة ٢٠٦ – ٢٣٨هـ) وجماعه من النصارى بشتم الاسلام وسب رسول الله صلى الله عليه وسلم علنا وعمدا عند أبواب المساجد في أوقات الصلوات ، وسمي هؤلاء (بالمنتحرين) فدعا (عبدالرحمن الاوسط) جماعة من النصارى ؛ لعلاج هذه القضية. فعقدوا مؤتمراً سنة ٢٣٨هـ. وقرروا فيه رفض هذه الأعمال ونبذها ، ونصحوا رعاياهم بعدم الرضى عنهم والإقلاع عن فعلها.

٤/ افتتاح الجزائر الشرقية (ميورقة ، منورقة، اليابسة) يذكر ابن حيان في مقتبسه. أن الأمير عبد الرحمن الأوسط سنة ٢٣٤هـ سير أسطولا من ثلاثة مائة مركب إلى أهل جزيرتي ميورقة ومنورقة ؛ لنقضهم العهد وإضرارهم بمن يمر إليهم من مراكب المسلمين ، ففتح الله للمسلمين عليهم ، وأظفرهم بهم ، فأصابوا سبايهم وفتحوا اكثر جزائرهم .

خصائص عهد الأمارة وانجازاته :

بدأت خصائص هذا العهد تظهر جلية بعد دخول الأندلس رحاب الإسلام ، وهو ما شمل الجوانب الحضارية المتعددة والإنسانية كافة ، وتمت التنظيمات .. ووجد منصب الحجابة

والوزارة ، كما ظهرت القوة الحربية البحرية، وتقدمت التنظيمات العسكرية، مع العناية بالثغور والاساطيل ، وظهر في مختلف هذه الميادين التنظيمية رجالات اشتهروا بمقدرتهم.

تميز هذا العهد بالإنتاج في مختلف النواحي العلمية ونمت العلوم وازدهر الميدان الثقافي واتسع نطاق التعليم وزاد الاهتمام بالكتب والمكتبات في أنحاء الأندلس وشملت كلا الجنسين وغدت الأندلس احد مراكز الثقافة في العالم الإسلامي .

وكان العمران احد الجوانب الحضارية التي أولتها النهضة العامة في الأندلس عنايتها ، وقام العمران على اسس هندسية وفنية في غاية الدقة ، ولم يشمل هذه المنشآت العامة والطرق بل كثيرا من المنشآت الخاصة كالدور والقصور والحمامات وانشئت مدن واقيمت تحصينات ودور لصناعة السفن كما انشئت مرافق عامة داخل المدن وحدائق ومساجد .

انشأ (عبدالرحمن الداخل) في قرطبة داراً للسكة تضرب فيها النقود كما بنى (السمح الخولاني) على الوادي الكبير قنطرة قرطبة الشهيرة وكان جامع قرطبة الذي أنشأه (الداخل سنة ١٧٠هـ) من ابرز المنشآت العمرانية .

وقامت علاقات دبلوماسية بين الأندلس وعدد من الدول في أوربا وغيرها ، خاصة بعد ان ظهرت هيبة الدولة في الاندلس وعلت قوتها ومكانتها كما حدث تبادل ثقافي في المؤلفات او في العلماء وبناءً على ذلك اتجه الكثير من العلماء المشارقة الى الاندلس كما حدث العكس كذلك .

وكان أهل الأندلس على مذهب الاوزاعي الفقيه (ابو عمرو عبدالرحمن الاوزاعي) وظهر عدة علماء على نهجه من الفقة منهم (ابو عبدالله صعصعة الاندلسي) ثم اخذ اهل الاندلس يتفقهون على مذهب الامام ابي عبدالله مالك بن انس (امام دار الهجرة وفقيه الامة) كانت اللغة العربية لغة الثقافة والتفاهم عند المسلمين بصورة رئيسية حتى أصبحت لغة التدريس في معاهد النصارى واليهود ، مما شجعهم على دخول الاسلام ، وكانت السلطة الاندلسية تسير على سياسة رشيدة مع الرعية قائمة على اصول اسلامية من العدل والرفق بالرعية والإنصاف مع غير المسلمين .

المحاضرة العاشرة

عصر الخلافة

والسياسة الخارجية للأمويين في الأندلس

٣١٦ – ٤٠٠ هـ

بدأ عهد الخلافة بتولي (عبد الرحمن بن محمد بن عبدالله) الملقب (بعبدالرحمن الناصر) ذلك لان والده (محمد بن عبد الله) قتل من قبل أخيه (المطرف بن عبدالله) حسداً فحرص الجد على حفيده (عبدالرحمن بن محمد) وولاه العهد من بعده ليعوض عن ذلك فقدان ابنه المقتول وكان عمره يوم ولايته ٢٣سنة وبايعه كل الناس ولم ينافسه احد لأنه كان حازما وذكيا عادلا محبا للإصلاح وتأكيد لقوة الاندلس اعلن (عبدالرحمن الناصر) الخلافة الاندلسية واستمر حكمه نصف قرن من الزمان (٣٠٠ – ٣٥٠هـ) ويروي المقري في نفح الطيب انه وجد بخط الناصر – ايام السرور – التي صفت له دون تكدير فكانت اربعة عشر يوما فقط خلال فترة حكمه .

وحين توفي (عبدالرحمن الناصر) تولى الخلافة ابنه الحكم الثاني (المستنصر بالله ٣٥٠ – ٣٦٦هـ) وكانت الاندلس مستقرة على اسس ثابته موحدة حدودها آمنة ومتمتعة بالتقدم والعمران اكمل مشاريعا كانت بدأت قبله وأنشأ غيرها في حياته ، عرف بصفات كثيرة تحب العلم وزهت الاندلس في عهده بمجالس العلم والمكتبات والجامعات وكان ميالا للسلم مما جعل بعض حكام الشمال الاسباني يتصورنه ضعيفا فهاجموه ورد عليهم .

ثم تولى بعده ابنه الهشام بن الحكم (المؤيد بالله) لكنه لم يستطع هذا النهوض بأمر الامة الاندلسية وغير قادر على رعاية شؤون البلاد لصغر سنة ، وكان يدير امور البلاد باسمه (محمد بن ابي عامر) المعروف (بالحاجب المنصور) ثم حكمه بعده ابنه عبدالملك المظفر ثم ابنه الآخر (عبد الرحمن شنجول) وبمقتل الأخير تنتهي الخلافة في الأندلس.

الأحداث الداخلية :

١/ إعلان الخلافة . وتم إعلان الخلافة بعد مجيء (عبد الرحمن الناصر) إلى الحكم وإقراره للأوضاع ثم ضعف الخلافة العباسية وقيام الخلافة الفاطمية فى الشمال الأفريقى التى أصبحت تهدد سلطة الأندلس .

٢/ أحداث متنوعة . (أ) إخضاع العصاة ، قام عدة عصاة بمواجهات أيام الأمير (عبدالله) أو قبله، استمر بعضها حتى أيام الناصر ، الذي استطاع القضاء عليها بحكمته ومن هؤلاء العصاة (عمر بن حفصون) الذي اتخذ مركزه قرب مدينة مالقه في جنوبي الأندلس – لكن الناصر استطاع القضاء عليه نهائيا .

(ب) وقوع المجاعة ، أصاب الأندلس سنة ٣٠٢هـ قحط شديد وتصدى لهذه المحنة (الناصر) فخفف من آثارها على الناس ، وبعد خمسين سنة (٣٥٣هـ)حلت بقرطبة مجاعة عظيمة . ساهم (الحكم) ورجال الدولة في التخفيف من آثارها حتى تم التغلب عليها.

(ج) قرطبة مركز التوجيه : منذ عهد الأمارة بدأت الأندلس تنمو وتظهر قوة سياسية وحضارية ، ورأوا حكام الدول الأوربية إنهم بحاجة ماسة إليها ، أو تسعى لكسب ودها وصداقتها ، كما يجد طالبوا العلم والمعرفة أنفسهم مشدودين إليها – حتى ان (الفنسو الثالث) ملك اشتوريش المخلوع سنة ٢٩٧هـ لم يجد الا ان يعهد بتربية ابنه إلى مربين قرطبيين ، وأصبحت قرطبة منتجعا لطلاب العلم والمعرفة قصدها عددا من علماء الشرق الإسلامي . كابي علي القالي صاحب كتاب الأماني . الذي ترك بغداد إلى الأندلس سنة ٣٣٠هـ . أيام الخليفة الناصر .

(د) انشاءات عمرانية : تمت في عهد الخلافة انشاءات عمرانية منها :-

-مسجد قرطبة الجامع ابتناه (عبد الرحمن الداخل) سنة ١٧٠هـ ، وتتابع الامراء والخلفاء في العناية به وتوسعته وكان الناصر والمستنصر وابن ابي عامر ممن اسهموا في هذا الامر.

-مدينة الزهراء بدأ الناصر أبتناء الزهراء (المدينة الخليفية) سنة ٣٢٥هـ - على بعد خمسة اميال الى الشمال الغربي من قرطبة ، واكتمل نموها خلال اربعين سنة ، وأعيد ترميمها بعد التنقيب عنها والعثور عليها.

-مدينة الزاهرة . أنشأها محمد بن أبي عامر (الحاجب المنصور) في شرقي قرطبة سنة ٣٦٨هـ على الوادي الكبير ، تم بناؤها في عامين ، واحتوت على دواوين الدولة وبعض مرافقها الاخرى.

-مدينة سالم : شمال شرقي مدريد ١٣٥كلم ، ابتنيت سنة ٣٣٥هـ ، ايام الخليفة عبدالرحمن الناصر.

-مدينة المريه : بناها الخليفة الناصر سنة ٣٤٤هـ ، وغدت فيما بعد قاعدة الاسطول الاندلسي في جنوبيه الشرقي على البحر المتوسط ، كما اصبحت مدينة تجارية صناعية مهمة.

وأقيمت عدة حصون منها (حصن مجريط) وله اهمية الحربية والسكانية ، وله اسهام ثقافي ونشاط علمي ظاهر وحصن طلمنكه وحصن بنة فراطه وحصن استيرش .

(هـ)الحاجب المنصور : وهو الذي سبق الحديث عنه والذي كان وصيا عن الخليفة الصغير (هشام المؤيد بالله) وغدا الحاكم الحقيقي للأندلس (ولو انه لم يحمل لقب الخلافة)وورث الحكم اولاده من بعده ، فيعتبر البعض ان زعامة (الحاجب المنصور) بداية لعهد جديد . وتشيد المصادر بقوته الإدارية والعسكرية وان هيبة الأندلس وقوتها بدت أكثر ظهورا في عهده.

الأحداث الخارجية :- الهجوم الرابع. وصلت قرطبة أيام الخليفة المستنصر بالله (٣٥٠ – ٣٦٦هـ) سفن النورمان فتصدى لهم المسلمون بقيادة امير البحر (عبد الرحمن بن رماحس) فردوهم وأعطبوا بعض مراكبهم وكانوا يقودونهم النورمان في ٢٨ مركبا وقتل منهم المسلمون في وادي شلب مقتله عظيمة واستشهد من المسلمين عدد لا بأس به.

الهجوم الخامس. وفي بداية رمضان سنة ٣٦٠هـ ظهرت طلائع النورمان مرة أخرى على ساحل الأندلس العربي ؛ فبعثوا (عبد الرحمن بن رماحس) قائد اسطول المرية في مياه البحر المتوسط ؛ ليبحر بأسطولها نحو اشبيلية والى امراء البحر الاخرين لرد عدوان النورمان ، ونجح المسلمون في ردهم وهزموهم وانصرفوا خائبين .

الهجوم السادس : وفي بداية سنة ٣٦١هـ **عاد النورمان** بقواتهم البحرية مرة اخرى . فردهم الأسطول الأندلسي بقيادة أمير البحر (غالب بنت عبدالرحمن الناصري) الذي عاد منتصرا الى قرطبة من مدافعته لهم – ويظهر انهم هاجموا جهة جليقية فخيبهم الله تعالى.

كانت هناك مواجهات برية بين الأندلس واسبانيا النصرانية ؛ لاسيما ايام المنصور بن ابي عامر وصل بها إلى مناطق بعيدة في جليقية، واخضع مدينة برشلونة . ويقصد بها هنا (معركة الخندق) عند مدينة شنت شمال نهر دويرة ١١ شوال سنة ٣٢٧هـ ؛ فخسر الاندلسيون هذه المعركة التي قادها الناصر بنفسه ، بيد انه نجا من القتل بجهد كبير ، وكان الخائن (اميه ابن اسحاق) الى جانب (ردمير) ملك ليون، يحارب معه ويدله على عورات المسلمين ، واستشهد فيه بعض العلماء.

السياسة الخارجية في عهد الخلافة : (١) مع العالم الاسلامي

كانت العلاقات مع العالم الإسلامي – عموما – علاقات عادية مع الجهات الرسمية فلا يقبل بسهولة قيام معاهدة بين الاندلس ايام الناصر – وبين – ملك ايطاليا ؛ لمقاومة النفوذ الفاطمي – وذلك بعد مهاجمة الفاطميين لميناء جنوة سنة ٣٣٤هـ ؛ وذلك لانعدام الادلة الكافية على قيام مثل هذه المعاهدة – وهذا يعني ان العلاقة عموما كانت حسنة وودية مع الشمال الإفريقي – لكن حين ظهر الخطر الفاطمي على الأندلس ، وضع الاندلس بعض مناطق الشمال الافريقي تحت نفوذه مثل ثغر (سبته) كانت العلاقة مع بقية العالم الإسلامي في الشرق – من الناحية العامة . علاقة ود ومحبة . الناس في الأندلس والمشرق على صلة دائمة للحج والسياحة والتلقي والدراسة ولم يحدث مصادمات ولا غرابة في ذلك فالعقيدة تجمع بين هذه الأطراف.

(٢)مع العالم الغير إسلامي : قامت السياسة الخارجية على عدم الاعتداء عموما والاستعداد لعروض الصداقة لا سيما في عهد الناصر ، فقد وردت سفارات ودية خطبت تلك الدول الخارجية ود وصداقة قرطبة ، وأرسلت اليها بالمثل سفارات وهدايا .

وتوسطت بعض الدول كألمانيا لدى الأندلس ، لتعاونها في حل بعض المشاكل كتلك السفارة الالمانية التي ارسلها (اوتو الاول) الى الناصر لكبح جماح الاندلسيين في دولة جبل القلال جنوبي فرنسا كما طلب البعض الآخر كدول اسبانيا الشمالية من السلطة الاندلسية التدخل في قضاياها الخاصة بها وارتضت الاحتكام اليها فيما يعترضها من مشاكل.

وأنشئت علاقات ودية مع العديد من الدول الأوربية وبيزنطة ورحبت الأندلس بالسفراء القادمين إليها أجمل ترحيب واستجابت لكثير من مطالبهم ولقد تم استقبالهم في قرطبة في قصرها الخليفي في دار الملك في (مدينة الزهراء) والبهو الذي يستقبل فيه الخليفة القادمين (المجلس المؤنس) الذي يطل على حديقة غناء وخصص المجلس الزاهر بهواً خاصاً بالاحتفالات في قصر قرطبة ناهيك عن الاكرام بأنواعه وتقديم الهديا لكافة الوافدين .

ومن هذه الوفود (أم حاكم اسبانيا الشمالية) فقد جاءت الى بلاط قرطبة ايام الحكم المستنصر سنة ٣٦٥هـ فأكرمهم الحكم غاية الاكرام وفي نفس السنة جاءت (أم لذريق بن بلاكش) (حاكم جليقية) فاحتفل الحكم المستنصر بقدومها وأكرمها ودفع اليها اموالا كثيرة لتوزعها على الوفد الذي جاء معها وحملت على بغلة فارهة بسرج ولجام مثقلين بالذهب وملحفة بالديباج .

المحاضرة الحادية عشرة

عصر ملوك الطوائف

٤٠٠ – ٤٨٤ هـ

أولاً : دول الطوائف والصراع مع اسبانيا النصرانية

سادت الأندلس – بعد سقوط الخلافة – حالة من الارتباك و الحيرة ، تبينت خيوطها السوداء بقيام دول متعددة فيها ، عرفت بدول الطوائف (دويلات أو ملوك أو أمراء الطوائف ، كان بعضها يتربص ليحوز مابيد غيره من الأمراء ، مثلما كانت سلطات اسبانيا النصرانية تتربص بهم جميعا ؛ لا تميز حتى من كانت له معها صداقة أو عهد .

١/ إسبانيا النصرانية الشمالية كان لفرد لند (ملك قشتالة وليون) دور في مهاجمة الأراضي الأندلسية في هذه الفترة ، استولى على بعض المناطق في قاصية الأندلس من الشمال الغربي سنة ٤٤٩ هـ ، وحاصر مدينة (بازو) ثبت أهلها المسلمون ودافعوا عنها دفاعا قويا ، لكن (فردلند) زاد من استعداداته ، واقتحمت المدينة بصورة عنيفة ، كان من بين الأسرى ذلك الرامي الماهر ، الذي أصاب الفونش (الخامس) ، فأمر (فردلند) بسمل عينيه وقطع يديه ورجليه وعذب حتى الوفاة .

وفي سنة ٤٥٤ هـ عاث (فردلند) في الأنحاء الشمالية لمملكة طليطلة ، وحكامها بنو ذي النون ، وفي بعض مناطق اشبيليه ، حيث بنو عباد . وفي سنة ٤٥٦ هـ سقطت بيده مدينة قلمريه ، لكن فردلند (ملك قشتالة وليون) توفي في ٤٥٨ هـ بعد أن قسم الملك بين أولاده الثلاثة (شانجة – على قشتالة) و (الفونش – بليون) و (غرسيه – بجليقيه والبرتغال)

ودار صراع بين الأخوة الثلاثة ، انتصر فيها (شانجة) الذي قبض على (الفونش) الذي هرب ولجأ إلى طليطلة عند ملكها (يحي بن اسماعيل المأمون) وبقي فيها تسعة أشهر ؛ تنفيذا لاستيلائه عليها ، واتجه بعدها ليتولى الحكم بدلا من أخيه (شانجه)

سقوط طليطلة: لما توفي المأمون (يحي بن اسماعيل) حاكم طليطلة سنة ٤٦٨ هـ خلفه حفيده الملقب (بيحي القادر) الذي حكم طليطلة ٤٦٧ – ٤٧٨ هـ . لكن أخذ (الفونش) يعمل لإسقاط طليطلة ، فأغار عليها وسفك الدماء وخرب مزارعها وأراضيها حتى سقطت على يده (٤٧٨ هـ) فكان لجوئه إلى ملكها وبقائه فيها تسعة أشهر سببا في معرفة مسالكها

وطرقها والانتصار على ملكها ، والعجيب أن بعض ملوك الطوائف لم يقدموا أية مساعدة لطليطلة بل ان عددا منهم كان يعرض المساعدة والتعاون للغازي (الفونش) وهذا العمل انانية وعصبية.

قام حاكم (بطليوس – عمر الملقب بالمتوكل على الله) ببعض واجبه اتجاه طليطلة في محنتها (وكان شهما وشجاعا) لكن طاقته كانت (فردية) لم يعينه احدا من ملوك الطوائف ؛ لرد قوة (الفونش) والقضاء عليه ، فحوصرت المدينة (طليطلة) وضيق عليها الخناق حتى سقطت ، وارتكبت خلال ذلك بها القسوة والشدة والأفاعيل.

دخل (الفونش) طليطلة بعد ان اعطى اهلها الامان بضمان حرياتهم واحترام شعائر دينهم وحقوقهم وحرمة مساجدهم ، لكن بعد شهرين فقط نقض هذه العهود وحول مسجد مدينة

طليطلة الجامع إلى كنيسة بقوة السلاح ، وحطم المحراب ؛ ليقام الهيكل مكانه

واعتقد (الفونش) بعد سقوط طليطلة على يده أن أمراء الطوائف كافة أصبحوا رهن اشارته ، وانه سيقضي عليهم الواحد تلو الآخر ؛ لذلك علت مكانته بين ملوك النصرانية ، وتسمى بالإمبراطور – أو بالإمبراطور ذي الملتين (الاسلامية والنصرانية) وبدأ يسعى لأخذ ما تحت أيديهم بكل وسيلة – لكن الأمور لم تجر على هواه ؛ لوجود القوة الكبيرة في المغرب والتي حرمته من تحقيق ذلك .

ثانيا : الدعوة الى التوحد ارتفعت في الاندلس – في هذا الوقت الحاسم – دعوة الى التوحد وجمع الشمل وكان على رأس من دعا إليها :

١/ابو الوليد الباجي (سنة ٤٠٣ – ٤٧٤هـ) وكان اهل طليطلة قد ثاروا سنة ٤٠٢ هـ ضد حاكمها الضعيف (القادر) وخلعوه ، وبقيت المدينة دون امير فاستدعي (المتوكل على الله) صاحب بطليوس ليتولى حكمها فدخل طليطلة وأقام عندهم عشرة اشهر فأرسل (الفونش) الى (المتوكل على الله) حاكم بطليوس طالبا تسليم بعض قلاعه وحصونه وتقديم اموال معينة ويتوعده ان لم يفعل ، لكن المتوكل على الله لم يأبه بذلك ورد على ملك قشتالة برسالة قوية تدل على الشجاعة والإباء كما ارسل (ابوالوليد الباجي) الى حواضر الاندلس

داعيا إلى توحيد الصفوف ويفهم من بعض النصوص أن الباجي هو الذي دعا من تلقاء نفسه إلى توحيد الصفوف لملوك الطوائف فبعد عودة الباجي من المشرق الإسلامي الذي

استقر فيه حوالي ١٣ عاما (٤٢٦ – ٤٤٠هـ) حيث اخذ بحظ وافر من العلم العظيم وبدأ ينتشر علمه في ربوع الأندلس وينادي بالاحتساب فوجد ملوك الطوائف احزاب متفرقة فمشى بينهم بالصلح إلا انهم كانوا يجلونه فى الظاهر ويستثقلونه فى الباطن .

ومن الممالك التي زارها الباجي في غرب الأندلس مملكة بطليوس المدينة التي ولد فيها وكان المتوكل على الله قد رأى أن يولي الباجي مهمة القضاء ودعمه في جهوده وكلفه بذلك ودعاه إلى الجهاد .

كما زار الباجي في شرق الاندلس ما بين سرقسطة وبلنسيه ومرسيه ودانيين زار جزيرة ميورقة ومع ذلك لم تتوفر لدينا معرفة كل المدن التي زارها الباجي وتاريخ ومدة تلك الزيارة او نوع نشاطه واتصالاته او أسلوب دعوته ولعل الباجي تولى الدعوة إلى التوحد بعد توليه مهمة القضاء في أكثر من مدينة واشتغل بالتدريس وعرف مكانه وذاع صيته العلمي ولا نشك انه خلال توليه كان مهتما بالأحداث وخاصة حادثة (بربشتر ٤٥٦هـ) التي حركت مشاعر الباجي وجعلته يشارك في اعادة هذه المدينة في السنة التي تلتها ٤٥٧هـ

وكان الباجي خلال دعوته إلى التوحد زار مدينة بلنسيه ٤٦٨هـ ودرس صحيح البخاري وبقية العلوم الأخرى وخاصة العلوم الشرعية باعتمادها على القران الكريم والسنة النبوية

٢/ دعاة آخرون :

لم يكن الباجي هو الوحيد الذي دعا إلى لم الشعث بل أن عددا من العلماء المسلمين والحكام المسئولين قاموا بذلك على تفاوت منهم في همتهم وجهدهم بين رسالة موجهة للشعب الأندلسي أو الحزن عليهم أو الشكوى منهم أو الدعوة لجمع الصف ونبذ التفرق لطرد العدو من أراضيهم .

ومن هؤلاء العلماء أبو الحزم جهور بن محمد (٤٢٢ – ٤٣٥هـ) وسعى للدعوة وتولى رئاسة حكومة قرطبة وكذلك ابناءه من بعده .

وبذل ابن حزم الأندلسي (٤٥٦ هـ) العالم الفقيه محاولات عديدة لم تسفر عن نتيجة كما وجه النقد اللاذع لملوك الطوائف لهذه الحال كما فعل مثله ابن حيان في تحليلاته حين تحدث عن الطوائف وعن نكبة بربشتر التي بكاها بشعره الشاعر الفقيه الزاهد أبو محمد عبد الله بن العسال الطليطلي سنة ٤٨٧هـ.

شارك ابن العسال بشعره في الحث للإنقاذ واستثارة الهمم للالتأم وإصلاح النفس وأخذها بتقوى الله وطاعته والجهاد في سبيله ، والشاعر الغرناطي ابو اسحاق ابراهيم

ابن مسعود الألبيري ٤٦٠ هـ .

وساعد على ذلك أبا بكر محمد بن احمد ٤٥٠ هـ وهو من أهل قرطبة بأن تطوع في إزالة خلافات بين ملوك الطوائف وحاول جمع كلمتهم حتى نال مكانة عظيمة عندهم وكان من تلاميذه أبي بكر هذا الذي سلك سبيله في الوعظ والتذكير (ابو عبدالله محمد الواعظ) من اهل بلنسيه .

لكن مع هذه الدعوات التي تنادي بتوحيد صفوف ملوك الطوائف إلا إنهم بقوا في غيهم سادرين ففوتوا فرصة الالتأم فأحلت بهم مصيبة و اوقعت الكارثة فسقطت طليطلة احدى قواعد الأندلس ومراكز القوة فيها .

ولم تسقط طليطلة وحدها في هذه الأحداث بل أيضا عدد من المدن والحصون حولها بلغت فيما يذكر ثمانين منبرا بين مدن وقرى كان لسقوطها وقع اليم في الأندلس وسائر أنحاء العالم الإسلامي كما أنها أظهرت بوضوح تقصير ملوك الطوائف ومسئوليتهم عنها نتيجة لسياستهم المنحرفة .

وكان ممن استجاب لدعوة توحيد ملوك الطوائف المعتمد بن عباد أمير اشبيلية الذي كان له الفضل في حركة استدعاء المرابطين للوصول إلى الأندلس بهدف الوقوف معهم ضد النصارى.

ثالثا : ذكر أهم دول الطوائف والحديث عن بعضها .

قامت في هذه الفترة في الأندلس عدة دويلات تفاوتت في المساحة والقوة والعمر اقتسمت الأندلس وحكم كل منها في الأغلب أسرة ما يتوارثها أبناؤها ويستعينون بغيرهم أحيانا ولكل حاكم وزراؤه وكتابه وقضاته وقواده ورجال مملكته وعصبته ولم تقم هذه الدويلات في وقت واحد وان نهايات التي استمر منها على يد المرابطين كانت متفاوتة وان تقاربت ومن أهم هذه الدويلات :

اولا / مملكة سرقسطة وكانت من أعظم ممالك الطوائف (مناقشة١٢)من حيث سعة رقعتها وموقعها بين دول اسبانيا النصرانية في الشمال وعرفت بولاية الثغر الأعلى وعاصمتها مدينة سرقسطة حكمت بقية أسرة بني تجيب هذه المملكة ثم أسرة بني هود و أولهم أبو أيوب سليمان بن محمد الملقب بالمستعين بالله (٤٣١ – ٤٣٨هـ) . قسم المستعين بالله هذه المملكة قبل وفاته بين أبناءه الخمسة وكان أشدهم طموحا (المقتدر بالله) الذي حكم ٣٥ سنة والذي وقعت ايامه مأساة بربشتر سنة ٤٥٦ هـ .

وتبدأ مأساة بربشتر بمهاجمة النورمانيين لبربشتر وهي شمال شرقي سرقسطة ويقدر أفراد الحملة بأربعين ألف واستمر الحصار أربعين يوما ثم اقتحم العدو المدينة ثم قطعوا المياه عنهم واشتد البلاء بهم ودخلوا المدينة عنوة واستباحوها وقدر عدد القتلى والأسرى بين أربعين ألفا و مائة ألف وارتكبوا أبشع الجرائم قتلا وهتكا للأعراض ولكن شاء الله تعالى أن يكون تيار الدعوة إلى توحيد ملوك الطوائف فلبى النداء بالجهاد عدد كبير واستطاع المسلمون أن ينزلوا بالنورمانيين الهزيمة الساحقة .

ثانيا / مملكة اشبيليه وتأتي في مقدمة ملوك الطوائف من حيث سعتها وتفوقها السياسي وحكم اسرة بني عباد هذه البلاد حتى انتزعها المرابطون وشغل افراد من هذه الاسرة مناصب للحكم المستنصر وابنه هشام المؤيد والمنصور ابن ابي عامر .

جرت أحداث بين اشبيلية وغيرها من دول الطوائف المجاورة حتى وفاة القاضي محمد بن إسماعيل بن عباد سنة ٤٣٣ هـ ويعتبر هذا القاضي مؤسسا لملك بني عباد بقوته وحزمه وكانت اشبيلية مملكة قوية بين ملوك الطوائف .

ولم تكن فكرة استدعاء المرابطين للأندلس وليدة عصرها بل كان لها جذور سابقة فبعد سقوط طليطلة عقد في قرطبة اجتماع حضره الزعماء والفقهاء وكثير من الناس من المعتمد بن عباد واتخذ فيه قرار الموافقة على استدعاء المرابطين إلى الأندلس للنصرة وأشير – خلاله الى التخوف من نتائج ذلك فأجاب المعتمد بكلمته السائرة مثلا – (رعي الجمال خير من رعي الخنازير) وبناء على ذلك دعا المعتمد ملوك الطوائف إلى هذا الأمر ودعوا أمير المسلمين في المغرب يوسف بن تاشفين الذي استجاب عقيدة في الله واستجابة في سبيله وإنقاذا لإخوة الدين وبدأت عبور المرابطين مضيق جبل طارق وسار حوالي سبعة آلاف سنة ٤٧٩ هـ وسهل الله تعالى عبور سفنهم بدعوة من ابن تاشفين .

وحين اقترب ابن تاشفين والمرابطين في اشبيليه خرج المعتمد بن عباد وجماعته لتلقيه ثم توجهوا نحو بطليوس وسار معهم ملكهم المتوكل على الله ومعهم معظم ملوك الطوائف .

وبعد ان علم (الفونش) انباء هذا الجيش فك حصار سرقسطة وبدأ يستعد للقاء جيوش جيليقية واشتوريش وبنارة وقشتالة وجماعة من متطوعي فرنسا وايطاليا وكان عددهم خمسين الف .

وبعث ابن تاشفين إلى الفونش يعرض عليه الإسلام أو الجزية أو الحرب عملا بأحكام السنة فأبى ذلك وأراد الفونش خديعة المسلمين بأن تكون الحرب يوم الاثنين لكن ابن تاشفين انتبه لهذه الحركة فبات الناس ليلتهم مستعدين وبعد مضي جزء من الليل رأى الفقيه الناسك أبو العباس احمد القرطبي رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام وهو يبشره بالفتح.

ودارت الحرب بين الجانبين في ١٢ رجب ٤٧٩هـ و أبلى المسلمون فيها بلاء حسنا وقاتل المرابطون في صفوف متراصة ثابتة فاضطر الفونش إلى الانسحاب حفظا لحياة الباقين

ومعه خمسمائة فارس مثخنيين جراحا متجهين إلى طليطلة حيث توفي أكثرهم في الطريق ولم يدخل معه طليطلة الا مائة فارس وسميت هذه الوقعة بالزلاقة واستمرت يوما واحدا .

ولا يعني انتصار المسلمين في الزلاقة رد جيش الفونش خاسرا فحسب ، بل أعانت هذه النتيجة على مد عمر إسلامية شبه الجزيرة الأندلسية بأربعة قرون أخرى .

المحاضرة الثانية عشرة
عصر المرابطين ودورهم في الجهاد في الأندلس

أصل المرابطين قام المرابطون في المغرب الأقصى يدعون إلى التمسك بالإسلام واتخاذه دستورا كاملا يحكم حياة الإنسان في كل أحوالها وقام بتأسيس دولة المرابطين (قبيلة لمتونة) احدى بطون صنهاجة من البرانس واحدة كبرى قبليتين (البرانس والبتر) اللتين يتكون منهما البربر واتخذت قبيلة لمتونة اللثام شعارا لها فسموا بالملثمين .

تعود بدايتها إلى يحي الجدالي (أمير جدالة) حيث توجه إلى الحج مع جماعة له وأثناء عودته مروا بالقيروان ليتلقوا العلم على يد علمائها واتصلوا بأبي عمران (شيخ المذهب المالكي) وطلبوا منه ان يبعث معهم عالما لوجودهم في عمق الصحراء فأرسل معهم (عبدالله بن ياسين الجزولي سنة ٤٥١ هـ) واخذ يفقههم في الدين ويعلمهم الشريعة الاسلامية .

اتخذ بن ياسين رباطا في بلادهم واجتمع حوله ألف رجل أطلق عليهم المرابطون وكان ممن التف حوله يحي بن عمر (زعيم قبيلة لمتونة) وحين بدأت العقبات في وجه هذه الدعوة دافعوا عنها وانطلق من رباط ابن ياسين تيارا قويا ولما حدث خلاف بين بعض قبائل صنهاجة سنة ٤٦٣ هـ دعي (ابوبكر عمر) للتوجه من اجل حسم الخلاف واوكل ادارة

الدولة خلال غيابة ابن عمه يوسف ابن تاشفين فأدارها بمقدرة ومهارة مما اكسبه مكانة عالية بجانبه شهرته العسكرية القوية وحين عاد ابوبكر وعمر من مهمته وراى حال الدولة وما يتمتع به ابن تاشفين بمكانة عالية تنازل لابن تاشفين الذي استمر حكمه حتى وفاته سنة ٥٠٠هـ واصبح عاصمة دولة المرابطين أغمات على بعد ٣٥ كم جنوب شرق مدينة مراكش .

جهادة في الاندلس وحين سقطت طليطلة لبى ابن تاشفين نداء ملوك الطوائف واتجه بجيشه نحو الأندلس للجهاد في سبيل الله تعالى وكانت معركة الزلاقة في رجب ٤٧٩هـ الذي هزم فيها الجيش القشتالي وانتصر المرابطون مع ملوك الطوائف وقبل عودة ابن تاشفين والمرابطين إلى المغرب جمع رؤساء الأندلس من دول الطوائف فنصحهم و وعظهم ولقب ابن تاشفين بأمير المسلمين بعد الزلاقة في شعبان ٤٧٩هـ .

وبعد استيلاء الفونش السادس على طليطلة أرسل قوات للإغارة على بعض مناطق شرق الأندلس ثم ابتنى قرب مرسيه حصنا ليكون قاعدة للاغارة على تلك المناطق وشحنه بثلاثة عشرة ألف مقاتل فرأى المعتمد بن عباد ضرورة الاستنجاد بابن تاشفين وعبر إلى المغرب لهذا الغرض ووعده خيرا فدخل ابن تاشفين إلى الأندلس للمرة الثانية سنة ٤٨١هـ وساعدهم ملوك الطوائف وحاصروا الحصن لكن لم يتمكنوا من فتحه وآثر ابن تاشفين الانسحاب حين علم بقدوم الفونش السادس الذي قام بإخلاء الحصن وهدمه وعاد ابن تاشفين إلى المغرب .

ودخل ابن تاشفين الأندلس للمرة الثالثة سنة ٤٨٣هـ من اجل إنقاذها من الخلافات التي حلت بها بسبب ملوك الطوائف وسار هذه المرة إلى طليطلة عاصمة قشتالة وفيها الفونش السادس وحين شاهد مناعتها وتحصينها تركها وعاد إلى غرناطة حيث استسلم له أميرها عبدالله بن بلقين .

لما علم الفونش السادس باتجاه المرابطين صوب اشبيلية بعد إخضاع قرطبة سنة ٤٨٤هـ وقتل حاكمها أرسل إليهم حملة بقيادة البرهانش مكونة من عدة آلاف وانتصر المرابطين في هذه المعركة وخضعت اشبيلية لقوة المرابطين بعد مقاومة شديد من المعتمد الذي اسر ونفي إلى اغمات في المغرب.

وفي سنة ٤٨٤ هـ دخل المرابطون مملكة بطليوس في غرب الأندلس التي كان يحكمها بنو الأفطس وأرسلوا حملة إلى لشبونة واستطاع المرابطون إخضاعها .

وفي سنة ٤٩٠ هـ دخل ابن تاشفين إلى الأندلس للمرة الرابعة وأرسل جيشا صوب طليطلة لأنها أصبحت عاصمة قشتالة واصطدم مع القشتاليين بقيادة الفونش السادس قرب كنشرة فانهزم الجيش القشتالي وتكبد خسائر فادحة .

توجه ابن تاشفين إلى قرطبة سنة ٤٩٥ هـ ليبايع ابنه علي وكان معه ابنه تميم ويشترط عليه تكوين جيش مرابطي في الأندلس بغرض الدفاع عن هذه البلاد وبعدها عاد ابن تاشفين إلى مراكش وتوفي فيها سنة ٥٠٠ هـ يرحمه الله تعالى .

وقعة اقليش اتفق علي بن تاشفين مع أخيه تميم في أوائل سنة ٥٠١ هـ على مواصلة الجهاد واتجهوا صوب اقليش شرق طليطلة ففتحوها وهرب الجيش القشتالي وتحصن في قلعة اقليش المنيعة وامدهم الفونش السادس بقيادة ابنه الوحيد (شانجة) وعمره ١١ سنة بعشرة آلاف وسميت بمعركة الاقماط السبعة (أي الامراء السبعة الذين رافقوا شانجة) وجرت هذه الوقعة في ١٦ شوال ٥٠١ هـ وهزم الجيش القشتالي وقتل شانجة .

مواجهات اخرى وفي سنة ٥٠٣ هـ دخل علي بن تاشفين الأندلس للمرة الثانية بهدف نصرة الاسلام فدخل طليطلة وفتح عدة حصون منها طلبيرة وكان ممن اشترك في فتحها قاضي الجزيرة الخضراء عبدالله بن علي اللواتي كما فتحوا مدريد ووادي الحجارة .

جهادهم في الجزائر الشرقية للمرابطين مأثرة أخرى في هذا الجهاد هو استردادهم للجزائر الشرقية في البحر المتوسط (ميورقة . منورقة . واليابسة) سنة ٥٠٩ هـ بعدما يزيد على سنة لغزوها من قبل قوات الحلف الثلاثي المكون من (بيزه . جنوة . برشلونة) .

سقوط سرقسطة وفي سنة ٥١١ هـ عبر علي بن تاشفين للمرة الثالثة وفتح قلمرية عاصمة البرتغال يومها ثم استولى ملك أرغون على سرقسطة سنة ٥١٢ هـ بعد حصار شديد دام شهور سار في حملة صليبية بلغت خمسين ألف راكب إفرنجية في اسبانيا وفرنسا واتجهوا شمال الأندلس وحاصرت سرقسطة في صفر ٥١٢ هـ تسعة اشهر ذاق أهلها ألوان الصعاب

وفنيت الأقوات وهلك الناس جوعا فاضطرت المدينة للاستسلام ودخلوها صلحا وعاثوا فيها .

وقعة قتنده جرت هذه الوقعة ربيع الأول سنة ٥١٤هـ بقيادة إبراهيم بن تاشفين وهي من أعمال سرقسطة وكانت شديدة على المسلمين واستشهد فيها الآلاف منهم الفقهاء والعلماء وفي مقدمتهم القاضي أبو علي الصدفي (٤٥٢هـ - ٥١٤هـ) من اهل سرقسطة وكان حين توجه الصدفي الى معركة قتنده كلف صهره بإمامة الناس في الصلاة والقيام بشئون اهله وهذا يفيد ان العلماء قدوة في كل امر يعلمون الناس ويتقدمونهم في الصفوف الاولى في الجهاد.

المعاهدون وجاز علي بن تاشفين سنة ٥١٥هـ إلى الأندلس للمرة الرابعة والأخيرة وذلك اثر أحداث جرت في قرطبة واستطاع تهدئة الحال واستدعى النصارى المعاهدين في غرناطة (الفونش الاول المحارب) ملك ارغون للاستيلاء على غرناطة يتعهدون له بكل مساعدة وكذلك برجالهم المسلحين كان هؤلاء ينعمون بحسن المعاملة وسياسة العدل والانصاف التي تمتعوا بها خلال قرون في المجتمع الاسلامي وفي ظل حكمه .

استجاب الفونش الأول لهذا الاعتداء فجهز جيشا قوامه خمسين ألف بعد انضمام آلاف النصارى المعهدين إليه وتحرك من سرقسطة نحو الأندلس سنة ٥١٩هـ واتجه نحو الجنوب وعاث الفساد وخرب الطريق وحاصر غرناطة مدة سنة ٥٢٠هـ لكنة فشل في النيل منها واستمر في سيره حتى وصل بلش قرب مالقة .

كتب المعاهدون والنصارى إلى الفونش الأول لمهاجمة الاندلس وبرغبتهم للتعاون معهم بالمال والسلاح والرجال والمعلومات فعلوا ذلك رغم عيشهم فيه وتوفر كل ما يرغبون من امن وحرية ناقضين للعهود المبرمة معهم فما كان من قاضي الجماعة (الفقيه محمد بن رشد) الا ان اخبر علي بن تاشفين بعد ان عبر اليه المغرب لما حدث في الاندلس فأفتى بتغريب النصارى المعاهدين وعزل اخيه تميم بن تاشفين عن ولاية الاندلس وتعيين تاشفين بن علي بن تاشفين .

وقعة افراغة دارت وقعة بين ادفونش المحارب وبين المرابطين وأهل الأندلس من جهة أخرى ويقودهم الأمير أبي زكريا يحي بن غانيه والي بلنسية وكان المسلمون اقل من عدوهم فهزم الله العدو بعد قتال شديد وقتل ادفونش المحارب وذلك في رمضان ٥٢٨هـ وسارت أنباء هذه الأخبار في الأندلس والمغرب لتبعث الأمل والسرور في نفوس المسلمين . نهاية المرابطين وفي سنة ٥٣٩هـ ضعف سلطان المرابطين في الأندلس بسبب الأحداث

التي توالت عليها ومنها هزيمة المسلمين بموقع يسمى (اللج) في شعبان ٥٤٠هـ وتلقت الاندلس كذلك عدة هجومات منها سقوط المرية ثغر الاندلس الشرقي على يد جيوش اسبانيا الشمالية والتي تقدمت كلها نحو المرية وحاصرتها برا وبحرا لثلاثة شهور حتى نفذ الطعام وشح الزاد فسقطت في بأيديهم ودخلوها واستشهد جمع من المسلمين منهم عالم المرية الرشاطي الامام كما اسروا حوالي ١٤ ألف . (مناقشة١٣)

وفي شوال ٥٤٣هـ سقطت طرطوشة بيد قومس برشلونة وحلفائه بعد حصارها البري والبحري لمدة ربعين يوما .

وفي رجب ٥٦٧هـ سقطت (لاردة) وغيرها بخيانة محمد بن سعد المتغلب على بلنسيه ومرسيه.

ولما توفي الأمير تاشفين بن يوسف تولى من بعده ابنه إبراهيم وبعد عامين قتل وأسدل الستار على حكم المرابطين ليرثهم الموحدون في المغرب والأندلس سواء .

المحاضرة الثالثة عشرة
عصر الموحدين
٥٤٠ ـ ٦٢٠ هـ

نشأة الدولة الموحدية : يعتبر الزعيم الأول لدولة الموحدين (ابو عبدالله محمد بن تومرت) (٤٨٥ – ٥٢٤هـ) الذي ينتسب إلى البرانس التي تسكن السوس قد رحل في طلب العلم الى الاندلس قبل تمام القرن الخامس الهجري وظل هناك خمسة عشرة عاما ثم رحل الى المشرق الاسلامي بداية القرن السادس الهجري والتقى بالعلماء والفقهاء ودرس على ايديهم وبعدها عاد الى الشمال الافريقي وبدأ يدعو الناس الى التمسك بالدين الاسلامي ونبذ كل فهم لا يرتضية الاسلام فسارت معه جماعة كثيرة تدعو الى ذلك الفهم واطلقت على نفسها (الموحدون) (مناقشة ١٤)

ثم وقعت المصادمات بين الموحدين والمرابطين وحين توفي محمد بن تومرت سنة ٥٢٤هـ كان أوصى بالأمر من بعده ابنة عبدالمؤمن الذي انفق سنوات في حرب المرابطين .

جهادهم في الأندلس : حين تدهورت أحوال المرابطين في الأندلس أقبلت الوفود الأندلسية إلى المغرب تدعو (عبدالمؤمن) للجهاد في الاندلس وانقاذه من ايدي الاعداء وكان ممن جاءهم القاضي ابو بكر ابن العربي محمد الاشبيلي من ٤٦٨ – ٥٤٣هـ ومعه مجموعة من كبار علماء اشبيليه لتقديم بيعتها للموحدين سنة ٥٤٢هـ .

كان أول جيش بعث به الموحدون إلى الأندلس سنة ٥٤١هـ لإزالة ما بقي فيها للمرابطين من سلطان وكان قد عزم العبور إليها ليشارك بنفسه في ترتيب أمورها وكتب إلى أهل الأندلس قبل ذلك ليبتنوا مدينة طارق فاستجابوا لذلك وسخروا لها العمال والمهندسين وظل العمل فيها شهورا وكان عبور عبدالمؤمن يوما مشهودا ثم عاد عبدالمؤمن إلى المغرب بعد أن أمضى فترة يراعي فيها أحوال الناس وينظم شؤونها وكان قد وفر قوة دفاعية مكونة من الموحدين والأندلسيين لحماية الأندلس جعلت منها غرناطة مركزا دفاعيا قويا بعد أن حشدت لها الإمكانيات كما نقلت العاصمة من اشبيليا إلى قرطبة سنة ٥٥٧هـ والتي اعتبرت مستقرا للجيوش الموحدية ثم بدأ عبدالمؤمن يتجهز للرد على عدوان اسبانيا الشمالية على الأندلس.

سار عبدالمؤمن بجيشه إلى الرباط لكن مرض وتوفي جمادى الأخره سنة ٥٥٨هـ بعد حكم أكثر من ٣٣ سنة وبويع لابنه أبي يعقوب يوسف وهو في مدينة سلا قرب الرباط فأصدر أمره للجيوش بالانصراف إلى بلادهم ليتخذ قرارا جديدا فعادوا جميعا إلى مراكش .

وفي سنة ٥٦٠هـ عبرت حملة عسكرية للأندلس لتعزيز دفاعات بعض المناطق الأندلسية ضد اسبانيا الشمالية، كما حدث صدام مع (محمد بن سعد ومركزه مرسيه) الذي كان له صلات موده مع عدد من ملوك اسبانيا الشمالية – حيث بلغ عدد المرتزقة في جيشه – اثناء لقاءه مع الموحدين (١٣٠٠٠مقاتل) . حارب الموحدون بعد أن تعاهدوا على الثبات والاستشهاد في سبيل الله ، وتم النصر للموحدين في هذه المعركة التي عرفت بـ (فحص الجلاب) وتوفي فيها (محمد بن سعد) .

كما اعتدى ملك البرتغال (صاحب قلنبره) على (لشبونة) بعد ان استنجد بالصليبيين وحاصرها حصارا طويلا وذلك في سنة ٥٤٢هـ واستولى على (شنترين) كما سقط امامه (قصر الفتح) وقامت اتصالات بين الموحدين وبعض حكام اسبانيا الشمالية أدت إلى عقد معاهدة صلح مع (ملك ليون: فرانده) الذي خرق المعاهدة وهاجم الاراضي الاندلسية سنة (٥٧٠هـ) . فقامت قوات الأندلس (الموحدية والاندلسية) بمهاجمة احدى القواعد العسكرية (لفرانده) وهي (مدينة لذريق : السبطاط).

وفي سنة ٥٧٨هـ شن عدد من ملوك اسبانيا النصرانية حملات على المسلمين في الأندلس ، فرد عليهم الموحدون بطردهم ، كما خاضوا معارك قرب (طلبيره) مع القشتاليين وملكهم (الفونش الثامن) .

وفي سنة ٥٨٠هـ عبر الخليفة (ابويعقوب) بجيش موحدي اتجه صوب مدينة (شنترين) شمال شرق لشبونة، ونازلها في عدة معارك؛ لكن الخليفة امر بالانسحاب قبل افتتاحها ، واصيب في المعركة ومات في شهر ربيع الآخر وخلفه من بعده احد ابنائه (ابويوسف يعقوب(المنصور) .

وجاء (شانجه) خلفا لوالده (ملك البرتغال) بعد وفاته ، فشن غاراته على الاندلس منذ سنة ٥٨٥هـ ؛ ساعده على ذلك انشغال (المنصور) الموحدي بإقرار الأمور في المغرب؛ فضلا

عن الإمدادات الصليبية المتجهة إلى الشرق لنجدة الجيوش الصليبية ؛ حيث خسرت مواقعها وكان سقوط دولتها باسترداد بيت المقدس من قبل المجاهدين بقيادة صلاح الدين الأيوبي سنة ٥٨٣هـ.

استطاع (شانجة) ملك البرتغال احتلال مدينة (شلب) الاندلسية بمساعدة السفن الصليبية التي تحمل آلاف المقاتلين ، وكانت المدينة قد ثبتت بقوة ، لكن المهاجمين قطعوا الماء عن المدينة ؛ فاضطرت الى التسليم (لشانجة) ورفض حلفاؤة الصليبيون ذلك الا بقتل اهلها جميعا واقنعهم بالاكتفاء بأسلاب المدينة بعد ان يتركها لهم بكل ما فيها . وذلك بعد حصار ثلاثة اشهر سنة ٥٨٥هـ .

حاول (المنصور) سنة ٥٨٦هـ مع الموحدين بعد عبورهم الى الاندلس استرداد (شلب) فلم يستطيعوا ، وعادوا الى اشبيلية لتنظيم شؤون البلاد واعادة الكرة على (شلب) لكن لم يستطع وعاد بعدها الى (مراكش) .

وحين حكم (الفونش الثامن) قشتالة عقد معاهدة مع الموحدين سنة ٥٨٦هـ ومدتها (خمس سنين) ، وبعد انتهاء مدة المعاهدة سنة ٥٩٠هـ (هاجم الفونش الثامن) ملك قشتالة الاندلس وعاث فيها الفساد ، فرد على الموحدين وقاتلوه في معركة (الأرك) الذي سيأتي الحديث عنها ، وعاد الموحدون الى مراكش ٥٩٤هـ

وحين توفي الخليفة الناصر جاء بعده ابنه (الناصر لدين الله) الذي التقى (بالفونش الثامن) ملك قشتالة في حصن العقاب سنة ٦٠٩هـ وجاء معه جيوش صليبية مع عدد من دول اوربا فهزم الناصر لدين الله وتفرقت قوات الموحدين ثم عادوا الى مراكش مرة اخرى وهناك توفي الناصر لدين الله سنة ٦١٠هـ .

وخلفه ابنه (المستنصربالله) وعقد معه صلح مع (الفونش الثامن) حاكم قشتالة لكن خسرت الاندلس اهم القواعد (قصر ابي دانس) امام ضغط اسطول الصليبيين الالمان وسمح لاهلها بأن يخرجوا احياءً فقط دون ان يحملوا معهم شيئاً ومع ذلك دخل النصارى ذلك القصر وقتلوا كل من كان فيه من المسلمين وقد استشهد من العلماء (ابو بكر محمد بن عبدالنور) من اهل اشبيلية وكان حافظاً لكتاب الله تعالى وعالما بأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم .

وجاء بعد وفاة المستنصر بالله عدة خلفاء آخرهم (ابي محمد الملقب بالرشيد سنة ٦٤٠هـ)

سقوط الجزائر الشرقية : وفي صفر ٦٢٧هـ سقطت جزيرة ميورقة كبرى الجزائر الشرقية بيد جيوش متحدة من الملك آرغون ومن فرنسا وايطاليا حيث سفكوا دماء أهلها ورفضوا المصالحة والاستسلام وسمى المؤرخون سقوط ميورقة بالحادثة الشنعاء على اهل ميورقة وكان ممن استشهد في هذه الحادثة ابو مروان عبدالملك بن ابراهيم العبدري الذي كان مقرئا مجودا مشاركا في العربية تصدر لإقراء القرآن وتدريس النحو وخطب بجامع بلده نحو عشرين سنة .

وسقطت جزيرة اليابسة صغرى الجزائر الشرقية الثلاث بعد أختها الكبرى بسنوات قليله لكن جزيرة منورفة لم تسقط إلا بعد حوالي ستين سنة ٦٨٦هـ حيث دخلها الجيش الأرغوني وأجلوا المسلمين عنها .

وهناك أمر آخر للأندلس لم يكن مثله في الشمال الأفريقي وهو خطر اسبانيا الشمالية ففي المدة مابين ضعف الدولة الموحدية وقيام غرناطة نحو سنة ٦٣٥هـ احتلت من جزيرة الأندلس عدد من قواعدها الكبرى بعد أن سقطت على جيوش اسبانيا الشمالية . سقطت قرطبة ٢٣ شوال سنة ٦٦٣هـ بواسطة جيوش ملك قشتالة (فراندة) الذي اضطرها إلى التسليم بعد أن أصر بعض الغلاة والحاقدون من النصارى ضرورة اقتحام المدينة وقتل كل من فيها في حين رأى ملك قشتالة فراندة أن هذا الإجراء قد يدفع أهل المدينة إلى اليأس وتخريب المدينة مع مسجدها الجامع وتحطيم سائر ثرواتها وذخائرها ثم كان تحويل مسجد قرطبة الجامع الى كنيسة .

وفي صفر سنة ٦٣٦هـ سقطت بلنسية إحدى المدن المجاهدة وكبرى قواعد شرق الأندلس وثغوره وكانت مركزا للعلوم والآداب والفضل والخير استغرقت عملية الاستيلاء على بلنسية عدة سنوات وأصدر البابا جريجوري التاسع مرسومه بإسباغ الصفة الصليبية على حروب إسقاط بلنسية التي بدأت سنة ٦٣١هـ .

وقعت معركة أنيسة عام ٦٣٤هـ وهو حصن يقع شمال بلنسية هاجمه الملك الأرغوني وهدمه وابتنى حصناً منيعاً يكون مركزا لأعماله الحربية ضد بلنسية وحين أرادأبو جميل زيان انتزاع هذا الحصن سار بقوة عسكرية اشترك فيها كثير من علماء بلنسية وفي

مقدمتهم سليمان الكلاعي وكان جنديا جريئا ولم يزل هذا الجندي يرغب أتباعه المسلمين على التقدم في الصفوف وينادي فيهم (اعن الجنة تفرون) حتى قتل صابرا محتسبا .

تجهز ملك ارغون لإسقاط بلنسية حيث حاصرها في رمضان سنة ٦٣٥هـ وشاركه من المتطوعين الفرنسيين وجنوة وحينما شددوا الحصار عليها صمم سكان بلنسية على الدفاع عنها حتى الرمق الأخير وأرسل أمير بلنسية سفرائه إلى بعض المدن الأندلسية طالبا النجدة فوافته الإمدادات من الأندلس والمغرب واستمر الحصار ستة اشهر وكان ممن اجابه للنداء الأمير الحفصي حيث جهز اسطوله بالمؤن والسلاح من ١٨ سفينة كبيرة وصغيرة وصحبه في ذلك الحين ابن الآبار وبقية الوفد الأندلسي لكن فشلت هذه الإمدادات لشدة الحصار على بلنسية واضطرت لإفراغ المؤن في جنوب بلنسية .

وضاق الحال بأهل بلنسية وداهمهم الجوع لقلة الأقوات في حين أن معسكر العدو في سعة من أمره اقواتا وعدة وسلاحا حيث شدد على سكان بلنسية ورماها بالمنجنيق فنفذت أقوات المسلمين واستولى الجوع وضعفت القوى وأكلت الجلود فاضطروا إلى الاستسلام وعقد الصلح على دانية وقلبيره وذلك بعد خمس سنوات من المعارك سنة ٦٣٦هـ ورحل عنها خمسين الف وحولت مساجدها الى كنائس .

أما اشبيلية فسقطت بيد ملك قشتالة فراندة وذلك بعد أعمال حربية لعد سنوات وحصار طويل استمر حوالي سنة ونصف ابتداء من شهر ربيع الأول سنة ٦٤٥هـ حتى أول شعبان سنة ٦٤٦هـ واضطرت المدينة بعدها للتسليم بالشروط وكان منها رحيل أهلها المسلمين عنها حيث غادرها ما يقارب أربعمائة ألف انتشروا في المدن الأندلسية .

لكن حافظ المسلمون على بعض المناطق في جنوب الجزيرة الأندلسية حيث قامت مملكة غرناطة.

توحيد الاندلس واهم الاحداث : (وقعة الارك سنة ٥٩١هـ)

وحدثت هذه الوقعة بين الجيش الإسلامي مكون من الموحدين الاندلسيين وبين جيش قشتالة بقيادة ملكها الفونش الثامن وتقع الأرك شرق السهل الذي جرت فيه الزلاقة وكانت قد عقدت هدنة سنة ٥٨٦هـ مع الفونش الثامن ملك قشتالة لمدة خمس سنين حتى ما انتهى اجلها سنة ٥٩٠هـ أرسل لتجديد الهدنة وهو يضمر كيداً لمهاجمة الأندلس وأرسل

إلى جميع الثغور المجاورة لينذرهم ويحذرهم وقاد الجيش الاسلامي الخليفة الموحدي (أبي يوسف يعقوب المنصور) وحين علم الفونش الثامن ملك قشتالة بذلك طلب العون من ملكي ليون و بنارة واتجه إلى الأرك بين قشتالة والأندلس .

مرت عدة أيام لم يحدث فيها صدام إلا على مستوى قليل فأصدر الخليفة أبي يوسف يعقوب

المنصور أمره ببدء الاشتباك من قبل الجيوش الأندلسية والموحدين ويبقى الخليفة المنصور مع فريق من جيش الموحدين في كمين فإن كان النصر للمسلمين فذاك وإلا فيبادر الخليفة المنصور للهجوم على العدو ويحمي ظهور المسلمين في الوقت الذي يكون العدو فيه قد أنهكت قواه .

وكان الفونش الثامن ملك قشتالة يسير معه خمسه وعشرين ألف فارس ومعهم تجار اليهود لشراء أسرى المسلمين وأسلابهم فهزمهم الله تعالى وأذلهم وفي التاسع من شعبان سنة ٥٩١ هـ بدأت المعركة والتحم الفريقان فكانت بينهم وقعة عظيمة استشهد فيها جمع كبير من المسلمين . ولكن صبر المسلمون واخذوا يتنادون بالجهاد في سبيل الله فتضاعف إقدامهم فكثر القتل في القشتاليين وتقهقروا وفر ملك قشتالة (الفونش الثامن) صوب طليطلة واستمرت المعركة يوما واحدا ، وافتتح المسلمون (حصن الارك) ويسمي بعض المؤرخين هذه المعركة (بالاركه) .

وقعة العقاب : بعد هزيمة القشتاليين وملكهم في (الأرك) أخذ يعد العدة للانتقام وكانت عقدت معاهدة بين الجانبين لمدة عشر سنوات منذ ٥٩٤ هـ لكن الفونش الثامن سنة ٦٠٦ هـ وقبل انتهاء مدة الهدنة بدأ يهاجم الاراضي الاندلسية ويعاونه في ذلك ملك أرغون فاستنجد اهل الاندلس بالخليفة الناصر فكتب هذا الرجل الى الجهات في المغرب في الاندلس يأمرهم بالتأهب ثم عبروا الى الاندلس واتجهوا نحو قلعة شلبطرة سنة ٦٠٨ هـ واقتحموها ثم عادوا إلى اشبيلية للاستعداد من جديد .

مضى الفونش الثامن ملك قشتالة ومعه بقية ملوك اسبانيا النصرانية ومعه البابويه وعليهم (انوهان الثالث) الذي بعث الى الاساقفة في جنوب فرنسا يبلغهم ان كل من شارك في القتال ضد المسلمين سيمنحه الغفران التام فاستجابوا له جماعات كثيرة حتى من كان قد عقد معاهدة صلح مع المسلمين ومنهم ملك نبارة (شانجة) ويذكر ان عدد الجيوش

الوافدة الى العدو بلغ ١٠٠٠٠٠ مقاتل بين فارس وراجل بينما وصل عدد المسلمين ٢٠٠٠٠٠ مقاتل.

تم اللقاء بين الطرفين في صفر ٦٠٩ هـ في سهل يقع جنوب غربي حصن العقاب الذي عرفت المعركة باسمه (وقعة العقاب) وكان الخليفة الناصر يرى ان النصر حليفه لما رأى من تفوق اعداد الجيش الاسلامي ولكن انتهى القتال بين الطرفين بهزيمة المسلمين الذين كثر فيهم القتل وكانت الخسائر عظيمة .

وكان ممن استشهد فيها من المسلمين ١: أبو عمر احمد النفزي (٥٤٢ – ٦٠٩هـ) من أهل شاطبة صاحب التآليف الذي كان احد الحفاظ للحديث يسرد المتون والاسانيد ظاهرا ، موصوفاً بالدراية الرواية يغلب عليه الورع والزهد وله تآليف دالة على سعة حفظة مع النظم والنثر ٢: القاضي الفقيه ابو ابراهيم اسحاق المجابري من سكان فاس الذي تولى قضاء سبته ثم بلنسية .

استولت جيوش الفونش الثامن ملك قشتالة على الغنائم الكثيرة منها أشياء كثيرة كالعلم الموحدي الذي مازال محفوظا في اسبانيا وكان لهذه الهزيمة اثر سيئ في كل الأندلس والمغرب على الرغم من أن الموحدين قاموا بنشاط عسكري في الأندلس بعد وقعة العقاب إلا أنها مثلت بداية النهاية للدولة الموحدية وكذلك ضياع قواعد أندلسية كثيرة .

المحاضرة الرابعة عشرة

مملكة بني الأحمر في غرناطة

ونهاية الحكم الإسلامي في الأندلس

٦٣٥ ـ ٨٩٧هـ

استمرت الدولة الموحدية في المغرب تواجه القوى الناهضة حتى سنة ٦٦٨هـ اختتمت حياتها لترثها دولة بني مرين التي ستضطلع بمهمة الموحدين والمرابطين من قبلهم .

(ابن هود) : أول شخصية اندلسية ظهرت في الميدان كانت من أسرة بني هود (اصحاب سرقسطة) ابو عبدالله محمد بن يوسف بن هود الجذامي الذي لقب بأمير المؤمنين سيف الدولة والمتوكل على الله . بدأ نشاطه سنة ٦٢٥هـ من مرسيه وخضع له قرطبة و اشبيلية وغرناطة و مالقة والمرية وغيرها.

اصطدم مع ملك قشتالة فرانده ووالده ملك ليون الفونش ووقف في وجه الأخطار الاسبانية النصرانية إلا انه لم يستطع الاحتفاظ بما سيطر عليه في الأندلس لشدة استعجاله في الأمور وطلبه في لقاء العدو من غير استعداد وهزم في عدد من المعارك ضد اسبانيا الشمالية النصرانية حتى سقطت بعض القواعد الأندلسية وأهمها قرطبة وتوفي ابن هود في مدينة المرية أوائل سنة ٦٣٥هـ وهو يستعد لإنقاذ بلنسية مع أميرها أبي جميل زيان .

(ابن الأحمر) : هو ابو عبدالله محمد بن يوسف المعروف بابن الاحمر الملقب بالشيخ بدأ هذا القائد بتكوين قوة احتفظت ببعض المناطق في جنوب الاندلس وتأسيس مملكة غرناطة (الاندلس الصغرى) .

ولد هذا القائد في ارجونه احد حصون قرطبة سنة ٥٩١هـ وهو عامل الأرك دخلت في طاعته مدن كثيرة لا سيما في وسط الأندلس سنة ٦٣٠هـ ثم كانت بيعته اميرا لغرناطة سنة ٦٣٥هـ وبوفاة ابن هود زال اكبر منافس لابن الأحمر ودخلت غرناطة في طاعته ثم استدعي إليها فادخلها في أواخر رمضان ٦٣٥هـ .

ضمت غرناطة أيام بني الأحمر الطرف الجنوبي من الجزيرة الأندلسية جنوب نهر الوادي الكبير إلى البحر المتوسط حيث الجزيرة الخضراء وجبل طارق ومن لورقة في ولاية مرسية شرقا إلى البحر المتوسط ومن الشمال حتى قلعة يحصب في ولاية جيان إلى شذونة

في ولاية قادس غربا شملت ثلاثة ولايات كبيرة ولاية غرناطة في الوسط وفيها العاصمة غرناطة . وولاية المرية في الشرق. وولاية مالقة في الجنوب والغرب .

ولقد اعتبر من الغرائب استمرار مملكة غرناطة رغم صغرها وقلة عدد سكانها محافظة على ما بقي للمسلمين من سلطان سياسي ووجود حضاري معطاء ولكن لا بد لهذا الثبات من أسباب.

١/ إن قوة العدو وتفوقه ووجود عوامل في داخل الأندلس مكنته من اغتنام الظروف لتنفيذ مشاريعه باقتطاع أجزاء من الأندلس كانت المناطق والحصون ثم القواعد الأندلسية الأقرب إليه هي اول ما يلقى هذا المصير خلال تقدمه . إن ما ضمته مملكة غرناطة كان ابعد مكانا عن الوقوع في يد عدو الأندلس فهي ابعد عن تناوله مع مناعة في الموقع بجانب قربها

من عدوة المغرب وعدم وجود خط معادي أمام مسلمي غرناطة يقف حائلا دون الاستعانة بأخوتهم في المغرب وبقية الشمال الأفريقي .

٢/ إن موقع مملكة غرناطة في الزاوية الجنوبية لشبه الجزيرة الأندلسية التي تبدو منقطعة حيث البحر من الجنوب والعدو من الشمال لم يدعها تعيش طوال سنيها بل كان الإخوة في المغرب لا يتأخرون عن عون إخوانهم الأندلسيين طالما جاهدوا صفا واحدا لدرء الخطر .

٣/ بعد الذي جرى للأندلس من سقوط عديد من قواعده في المدة بقيت في بعضها أعداد من المسلمين تحت الحكم النصراني سمي هؤلاء (المدجنون) احتملت مدن اخرى نفس المصير لكن البعض القليل نصرت بحملات عديدة ضد المسلمين وكان كثيرا من المسلمين يهجرون مدينتهم حين تسقط ليلتحقوا بمدينة مازالت الكلمة فيها من سلطان المسلمين ولما قامت مملكة غرناطة وبعد ان لاح لمسلمي الاندلس شبح الفناء اعتبروها ملاذا به يحتمون اليه يلجأون فامتلأت غرناطة بأهل المهارات والكفايات من النساء والرجال والذين برعوا في كل ميدان حربيا كان او مدنيا ومن هؤلاء رجال الحرب والدفاع الاشداء الذي صمموا على الوقوف والاستعداد والتضحية في حين انه كان في داخل غرناطة طاقات بشرية من هذا اللون المبدعين في كل المجالات

٤/ ولعل السبب الحقيقي في الإبقاء على غرناطة القوية وحية طوال هذه الفترة الزمنية التزامها بالإسلام وهو الذي جمع هذه الطاقات ودفعها للوقوف مجتمعة والاستعداد للبذل ورفع الهمم .

مجريات الأحداث التالية في شبه الجزيرة الأندلسية :

١/ ظهور الوباء الكبير سنة ٧٤٩هـ وهذا المرض الكبير انتشر في الأندلس ومناطق أخرى في العالم الإسلامي وحول البحر المتوسط وكان قد بدأ ظهوره في ايطاليا وقد كتب عنه ابن الخطيب في مؤلفه مقنعة السائل عن المرض الهائل كما ألف عنه شاعر المرية احمد الأنصاري مؤلفه تحصيل غرض القاصد في تفصيل المرض الوافد .

تجهز ملك قشتالة الفونش الحادي عشر سنة ٧٥٠هـ للاستيلاء على جبل طارق وحاصرهم إلا أن المرض المذكور فشا في هذا الجيش وكان الفونش من ضحاياه قال الله تعالى : (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) فكان لابد من فك الحصار وانقذ الله جبل طارق من شرهم .

واستمرت قشتالة على سياستها من العبث في الأراضي الأندلسية ناقضة للعهود لكن صلحا عقد بين الأندلس وبين ملك أرغون بطرة بن شانجة فساد السلام والأمن في ربوع غرناطة وازدهرت نهضة عامة خلال سنوات أبي الحجاج يوسف الأول وخلفه ابنه محمد الخامس الغني بالله .

عقد صلح بين غرناطة وبين أرغون قشتالة خلال حكم الغني بالله ثم ابنه محمد السادس الذي تولى الحكم سنة ٧٩٧هـ ثم جرت صدامات بين غرناطة وقشتالة خسرت فيها غرناطة بعض القواعد والثغور واستولت عليها قشتالة بالحرب وسقط جبل طارق بيد القشتاليين سنة ٨٦٧هـ وهذا يعتبر ضربة عنيفة لمسلمي غرناطة مما يحول دون وصول الإمداد من عدوة المغرب للأندلس .

فتح المسلمون العثمانيون القسطنطينية سنة ٨٥٧هـ بقيادة السلطان محمد الفاتح فكان له اثر في زيادة نشاط اسبانيا النصرانية لمهاجمة الأندلس ساعد على ذلك سوء الأحوال الداخلية التي كانت تجتازها غرناطة وكان لابد ان تسير الاندلس الى نهايتها التي وصلتها

فعلا في موعد لا يتأخر كثيرا إن كان عن الذي تم فيه يوم غربت شمس الأندلس وزال سلطان المسلمين السياسي وتلاه وترتب عليه زوال وجودهم الحضاري والبشري .

تم اتحاد قشتالة وأرغون سنة ٨٨٤هـ بزعامة الملكية الكاثوليكية وكان قد تم الزواج بينهما قبل ذلك بعشر سنين . حوالي هذا الوقت بدأت مفاوضات مع غرناطة حيث طلب إلى سلطانها أبي الحسن شروط ثقيلة . انذر السفير القشتالي الذي جاء إلى غرناطة لهذا الغرض لكن لم يكن ليستعد الاستعداد المناسب ويسلك السلوك المطلوب .

وفي محرم سنة ٨٨٧هـ هاجم فراندة زوج ازابيلا ملكة قشتالة غرناطة واستولت جيوشه بعد مقاومة باسلة على مدينة الحمه جنوب غرب غرناطة فأمعنوا في أهلها قتلا .

ثم زحف ملك قشتالة على مدينة لوشة وحاصرها لكن حاميتها الإسلامية دافعت عنها دفاعا مجيدا بقياد الشيخ علي العطار وكان في الثمانين من عمره .

وفي سنة ٨٨٨هـ خاض حاكم غرناطة محمد الحادي عشر بن علي معركة ضد جيوش قشتالة انتصر فيها المسلمون ثم قاد جيشا اتجه به نحو قرطبة وانتصر في بعض المعارك لكنه اسر في معركة عند قلعة اللسانة جنوب شرق قرطبة .

وفي سنة ٨٩١هـ هاجم جند قشتالة مدينة لوشة ولم تصمد أمامه فاستسلمت بشروط لصالح قشتالة وبناء على ذلك اخذ ملك قشتالة يشدد الضربات على المدن الأندلسية ويرهقها حصارا وحربا وكان مما حدث في بلنسيه أن كان العدو يخرب ما حول غرناطة من المحاصيل و الزروع وكان البقية الباسلة المتفانية من فرسان الأندلس وجندها في كل ذلك يبذلون أرواحهم .

سقوط غرناطة

جرت أحداث تتضمن كثيرا من التفصيلات وقامت مفاوضات لجأ العدو خلال ذلك إلى التحريش و التضريب بين المسلمين وإذكاء الفتنة وبعد حصار شديد بمدينة غرناطة انتهى الحال بتسليمها وتم توقيع معاهدة التسليم بين حاكم غرناطة المتخاذل وبين ملك قشتالة ٢١ محرم سنة ٨٩٧هـ وفي الثاني من ربيع الأول من سنة ٨٩٧هـ استولى النصارى على قصر الحمراء بعد أن استوثقوا من أهل غرناطة بنحو ٥٠٠ من الأعيان رهناً و خوفاً من الغدر وكانت الشروط (سبعة وستين) منها تأمين الصغير والكبير من النفس والأهل والمال

، وابقاء الناس في اماكنهم ودورهم وعقارهم ، ومنها اقامة شريعتهم على ماكانت ولا يحكم احدا عليهم الا بشريعتهم ، وان تبقى المساجد كما كانت وكذلك الاوقاف وان لايدخل النصارى دار مسلم ولا يغصبوا احدا ، والا يولى على المسلمين الا مسلم او يهودي ممن يتولى عليهم من قبل سلطانهم ، والا يؤخذ احدٌ على ذنب غيره وان لا يقهر من اسلم على الرجوع للنصارى ودينهم ، وان من تنصر من المسلمين يوقف اياما حتى يظهر حاله ويحضر له حاكم من المسلمين وآخر من النصارى ،فإن ابى الرجوع الى الاسلام تمادى على ماراد ولا يعاتب على من قتل نصرانيا ايام الحرب ، ولايؤخذ منه ما سلب من النصارى ايام العداوة ،ويسير المسلم في بلاد النصارى آمنا في نفسه وماله ،ولا يمنع مؤذن ولا مصلي ولا صائم ولا غيره من امور دينه ،ومن ضحك منه يعاقب ... إلخ

لكن ختام هذه المأساة الأندلسية لم يكن بهذا الشكل السريع بل كانت دونه دماء ودموع وحسرات وأحداث وتضحيات من كل لون قدمها المسلمون الأندلسيون دفاعا عن عقيدتهم الإسلامية التي هي أغلى من كل شيء أما الطغيان الأعمى الذي استعمل كل وسيلة في حرب لا مبرر لها ضد من أحسنوا إليه معاملة ووفروا له حضارة وأثاروا الأرض خيرا وعمروا المكان إنسانية بعقيدة الإسلام القويمة وشريعته الربانية السمحاء وتعاليمها النقية فما تعلموا منها بل رفضوا خيرها .

تلت ذلك محن أخرى قاساها مسلمو الأندلس حتى قضي على الحكم الإسلامي في الأندلس بل قضي على وجودهم البشري وعلى عقيدتهم وكل ما يتصل بهم اللهم إلا بقايا رماد تفلتت من المخالب وهي عنيدة أما من الناس – ان وجد – فتلك اخرى عجيبة ان تبقى تسكن القلب عقيدة قال الله تعالى (قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شيء قدير) والله اعلم .